تفسير جزء عمّ

من التفسير الكبير

للإمام عبد الكريم بن هوازن القُشيريّ

(٣٧٦هـ - ٤٦٥هـ)

ويليه تحقيق أوائل

التيسير في التفسير

لابنه أبي نصر عبد الرّحيم القُشيريّ

(ت ٥١٤هـ)

تفسير جزء عمّ

من التفسير الكبير

للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري

(٣٧٦هـ - ٤٦٥هـ)

ويليه تحقيق أوائل

التيسير في التفسير

لابنه أبي نصر عبد الرحيم القشيري

(ت ٥١٤هـ)

ومعه تنبيهات حول طبعة دار اللُّباب

تحقيق

الشيخ د. عبد الله بن علي الميموني

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحميد المجيد والصلاة والسلام على نبينا محمد خير العبيد صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمّا بعد.

فإنّ لي قصةً مع تفسيري أبي القاسم عبد الكريم (ت: ٤٦٥هـ) وابنه أبي نصر عبد الرحيم القشيري (ت: ٥١٤هـ) سأوجزها هنا، فقد ساقني القدرُ للاعتناء بتفسير الإمام أبي القاسم ثمّ بتفسير ابنه أبي نصر، وذلك أنني كنت أفتّش في مخطوطات مركز الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثمّ في مكتبة الملك فهد الوطنية باحثًا عن مخطوط مناسب لمرحلة الدّكتوراه، ولم أكن أرغب حينها في أيّ موضوعٍ بل كنت أبحث عمّا أرجو أن تعمّ فائدتُه ويبقى أثرُه، وقد كان ذلك قرابةَ عامِ: (١٤٢٤هـ). فاستوقفني مخطوطٌ مصورٌ من مكتبة (لا لي بتركيا). فتصفّحتُه فإذا هو مجلدٌ كبيرٌ من التّفسير الكبير للإمام أبي القاسم القشيري يبدأ بأول الكتاب وينتهي عند أوائل تفسير سورة الأنعامِ.

وإذا في أوله قبل التفسير مقدّمة حسنة في علوم القرآن فيها فوائد وإضافاتٌ.

وقد سمّاه جماعة بـ: (التيسير في التفسير). ومن هؤلاء ابن خلّكان في وفيات الأعيان، وسكتَ آخرون فقالوا: التفسير الكبير، ولم يسمّوه ومن هؤلاء: ابن الجوزي والذهبي والتاج السبكيّ.

وتأمّلته فرأيتُه تفسيرًا حسنًا مبسوطًا غزير الفوائد يعتني باللغة والنّحو وغير ذلك، وصاحبه مع ذلك مشهورٌ بالعلم، متقدّم الطبقةِ من جهة الوفاة بالنّسبة لأكثر التفاسير المتداولة، فهو مصنف قبل تفسير البغوي وابن عطية وتفسير الكشاف والكواشيّ والقرطبي وابن كثير وغيرهم.

وأعدتُ النظرَ في ترجمة المصنف فشدّني قول العلامة ابن خِلّكان (٦٠٨-٦٨١ هـ): (وأخذَ في التّصنيف، فصنّف التفسير الكبير قبل سنة عشر وأربعمائة، وسماه «التيسير في علم التفسير» **وهو من أجودِ التفاسير**) اهـ. فوصفَه بأنّه من أجود التّفاسير، وعبارة ابن خلكان مأخوذةٌ في أصلها من ترجمة الحافظ: عبد الغافر الفارسي، صاحب السياق في تاريخ نيسابور وهو حفيد المصنف، لكنّ ابن خلّكان زاد في وصف الكتاب بأنّه من أجودِ التفاسير، وهذا الوصفُ ليس في كلام الحافظِ عبد الغافر الفارسيّ، وابن خلّكان علاّمة واسع الاطلاع على المصنفات دقيق في وصفه للكتب، فلا يُطلق مثل هذا الوصف جُزافًا، فزادني ذلك حرصًا على تحقيق هذا التفسير. ثمّ إنّ الإمام الذهبي -وهو دقيقٌ في نقله وفي اقتباسه- نقل عبارة ابن خلّكان، ولكنّه اقتصر منها على قوله: (صنّف التفسير الكبير وهو من أجودِ التّفاسير) اهـ[١]. فلم يذكر قولَ ابن خلّكان: وسمّاه: بالتّيسير في التفسير؟

ثم تقدّمت لقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بالتفسير، فكان حظّي من الكتاب تحقيق مئة وستين لوحًا تامًّا، من أوّل التفسير إلى نهاية سورة البقرة، وهو مقدار كبيرٌ، وحين يسَّر الله تعالى الانتهاء من رسالة الدّكتوراه، وأُجيزت بتقدير امتياز مع مرتبة الشّرف الأولى، اشتغلتُ بنسخِ باقيه بنفسي وتحقيقه في أوقات الفراغ

(١) تاريخ الإسلام: ٣١/ ١٧٤ وسير النبلاء: ١٨/ ٢٢٨.

مـع الانشـغال بـغيره، فاسـتهلك مني تحقيقـه جهدًا كـبيرًا ووقتًا كـثيرًا لأمـور بيّنتها في مقدّمـة التفـسير المطبوعـة، منها: أنه على نسـخة فريدة، ومنهـا كثرةُ نقوله، وتوسـعه في دقائـق مسـائل النحـو والعربيـة وغيرها، ومنهـا أني قد كنـتُ أعاني نسـخَهُ بنفسي.

وقـد يسر الله تعـالى وتـمّ طباعـة التفسير في (٤مج) عـام: ١٤٤٣هــ، بتحقيقي مـن أولـه إلى أوائـل تفسير سـورة الأنعـامِ. ونشرته دار اللؤلـؤة بمصر. ولم أكـن إذ ذاك قـد عثـرت على تتمّتـه الآتي ذكرهـا ومنها تفـسير جزء عـمّ هذا.

وأمّـا تفـسير ابنـه العلامـة: أبي نصر عبـد الرحيـم بـن عبـد الكريـم القـشيري (ت٥١٤هـ). فلي معه قصة أخرى فقد زاد ارتباطي به حين كنت أوثّق بعض نقول تفسير والـده المتقـدّم وأتتبّـع ما يـدلّ على نقل أبي نصر من تفـسير والده أبي القاسـم القشيريّ.

وكنـتُ قـد وقفتُ قبـل ذلك -أيـام الدراسـة الجامعيـة- على نقولٍ مـن تفسير أبي نصر القـشيريّ، وكان أنْ شـدّني منهـا نقولٌ نقلهـا الحافظ المقرئ أبو شـامة في شرحه على الشّـاطبية المعـروف بــ: إبـراز المعـاني، وقد عقّب بعـد ذكره لـكلامٍ أورده مـن تفسير أبي نصر بــ: (قلـتُ: وهذا كلامٌ حسـن صحيـح) اهـ. قال ذلـك عند شرحه بيتَ الشّـاطبي:

.... وَحَمْـزَةُ وَالأَرْحَـامَ بِالخَفْـضِ جَمَّلا

يعنـي قراءتـه المشـهورة: (والأرحـامِ) بالجـرّ مـن قولـه تعـالى: ﴿وَٱتَّـقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَـسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النسـاء: ١]. وللفائـدة فمجمـوع مـا نقله أبو شـامة عـن تفسير أبي نصر قرابـة سـبعة مواضـع فـيما ظهر لي.

وممـن كنـت رأيتُـه يكثـر النّقـل عـن تفـسير أبي نصر الإمـام القرطبـي في الجامع لأحـكام القـرآن، فقـد نقـل عنـه مـا ينيـف عـن ثلاث مئـة موضـع. وكنـتُ ولا زلـتُ

مُغرمًا بتفسير الإمام القرطبي[١].

وقد كان صدى بعضِ نقول الحافظِ أبي شامة قد بقي في النّفس. ثمّ مرّت الأعوامُ وتمّ الانتهاء من رسالة الدّكتوراه، وأعدتُ النّظر فيها وقفتُ عليه مخطوطًا من تفسير أبي نصْرٍ في مكتبة الملك فهد الوطنية وكنتُ قد وقفت على نسختين من تفسير أبي نصر القشيري تمثّلان أكثرَ من نصفِ التفسير، فرأيتُ تحقيق أنموذجٍ منه مع التّعريف بالمصنّف وتفسيره، فاخترتُ حينها تحقيقَ أوائل تفسير سورة النساء تعريفًا بمنهج التفسير وإشادة بذلك النّقل السّابق من الإمام أبي شامة، ثم كانَ أن نشرتُ البحث في مجلة الجامعة الإسلامية، ثمّ يسّر الله تعالى لي العثورَ على نسخٍ يتمّ بها جميع تفسيره.

ثم إنّي رأيته مطبوعًا مع نقصٍ وتلفيق في آخره، وسيأتي بيانه وتفصيل أكثر لعلاقتي بتفسير الابن مع تحقيق أوائله في مبحث مستقل ملحقٍ بعد تفسير والده الإمام أبي القاسم.

وأعود لقصتي مع تفسير أبي القاسم القشيري؛ فإنّي لم أزل -بحمد الله- متشوّفًا للوقوف على تفاسير العلماء وبخاصة المتقدّمين منهم قبل القرن السّادس، فوقفتُ على تفاسير تامّة لم تكن طبعت وبعضها إنما طبع قريبًا، ووقفت على تفاسيرَ نفيسة لكنها ناقصة. وكان يجول في النّفس أن أعثرَ على المتبقّي من التفسير الكبير للقُشيري حتى وردني في أحدِ الأيام بُشرى من الشّيخ الباحث الفاضل: د. عبد الله المنصور، تفيدُ بأنّه قد عثَر على قطعتين مخرومتين من تفسير القشيري الكبير

(١) قال الإمام الذهبي: في الثناء على تفسير القرطبي: (وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان؛ وهو كامل في معناه). تاريخ الإسلام: ١٥/ ٢٣٠ تحـ. د بشار.

إحداهما يجزم هو بأنها قطعة من التّفسير الكبير لأبي القاسم القشيري لأن قسمًا منها قد وجده يتطابق مع ما نشرته سابقًا.

والثانية: لا يزالُ هو منها في شكٍّ ويطلبُ التثبّت منها، فوقفت بإرشاده -أحسن الله عاقبته- على القطعتينِ فإذا هما جميعًا من التّفسير جَزْمًا، وإذا مجموعُ ما فيهما يشكّل مع النسخة الأولى أكثر من سبعة وعشرين جزءًا من تفسير القرآن، ففرحتُ بذلك.

وعملت على تحقيق التفسير كاملًا مع مشاغل وأعمال علميّة أُخرى فأنهيتُ منه أغلبه -بحمد الله-، ولكن خطر ببالي أنْ أزفّ تفسير جزء عمّ مفردًا مطبوعًا لوحده مع بعض التوسع في التعليق عليه ليكون هذا الجزء غنيمة يسهل اقتناؤه وحمله، لكل راغبٍ، وهدية لكلّ طالب، فتفسير القشيري الكبير كبير حجمه، وطباعة تفسير جزء عمّ مفردًا فيه فوائدَ منها:

- أنني أردتُ أن يتيسّر اقتناء هذا الجزء المبارك للعموم لشيوع الحاجة إلى تفسير قصارِ السّور.

- التعّجيل به للدّارسين والباحثين، فالتفسير كبيرٌ وستقتضي طباعته مدّةً لا أجزِم الآن بميقاتها حتى يتم إكمال تحقيقه ثمّ تنسيقه ثم طباعته.

- أحببت أنْ أسهّل اقتناءَه لأنه لا يشكّل عبئًا ماليًا ليكون ذلك أخفّ على غير المقتدرين من طلاب العلم.

- ومنها أنّ تفسير جزء عمّ يعدّ مقرّرًا في عدد من الجامعات على طلاب الدّراسات الشرعية فعسى أن يكون طباعته مفردًا سببًا لأن يفيد منه الأستاذ عند

تحضيره والطالب المتطلّع للفائدة عند درسه وبحثه، فلقد كنت أعوامًا عديدة أُعاني التّحضير للتفسير، فكان التنقّل بين كتب التفسير يأخذ وقتًا وجهدًا وقلّ أن أجد تفسيرًا كبيرًا جامعًا مخدومًا بتخريج أحاديثه وبيان مرتبة أسباب النزول فيه مع ضبط المشكل من أبياته وشرح المستغلق من الأقوال والمذاهب وبيان ما فيه اختلاف دقيقٌ وإيضاح المشكل والترجيح ولو في بعض المواطن وغير ذلك، فأردتُ أنْ يكون هذا الجزءُ من هذا التّفسير مع تحقيقه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه بما تيسر ثمرةً يانعة وغنيمةً باردةً وسراجًا يُضيءُ مع تلك السّرج، ورافدًا كبيرًا جديدًا يُضاف لغيره، فلعَمْرُ الله ما يغني تفسيرٌ عن تفسيرٍ.

وإنما يَعرِف قدْرَ هذا التفسير وأمثاله من جالَ في عيون التفاسير وطاف على مغانيها، وأسهر لياليه يقتنص دُرر فوائدها ويهتدي بقبسها.

وتتميمًا للفائدة ألحقتُ به تفسيرَ الفاتحة وأوائل سورةِ البقرة لابن المصنّف من كتابه التّيسير في التّفسير لينتفعَ بذلك من رامَ معرفة تفسير الفاتحة وأوائل سورة البقرة، وليُعرف الفَرْق بين منهجه ومنهجِ والده، فإنهما كثيرًا ما يلتبسان في أذهان من لم يكن له عناية مسبقة بتفسيريهما، وهما مختلفان في المنهج وكلٌّ منهما مفيدٌ في بابه.

وقد كنت أُسأَلُ عن الفرق بينهما كثيرًا.

ثم من الدّوافع أنّني كنتُ قد حقّقتُ قسمًا منه قبل أن تطبعه دار اللّباب، وكان المحقّق مشتملًا فيما أحسبُ على فوائدَ من تخريجٍ موسعٍ وتنبيهات وغير ذلك، فرجوتُ أن يكون إخراجه نافعًا وكرهت أن يبقى حبيسًا عندي.

ثمّ إني قدَّمتُ قبل تحقيق تفسير أبي نصرٍ مبحثًا يشتمل على تنبيهاتٍ على أوهامٍ

يسيرة اعترت طبعتهم، وهي في العموم طبعة جيدة غيرَ أنّ أصعب ما شابها، وكان -خطأ فادحًا غير مقصودٍ-: هو تلفيق قرابة تفسير جزء ونصف في آخر التفسير من تفسير آخر ليس هو للقشيري؟ تابعوا فيه بلا تثبتٍ كافٍ مخطوطة فريدة مع شكّهم في ذلك، ثمّ إنهم استدركوا ونبّهوا على ذلك بعد أن أعطيت لهم مخطوطة أخرى لآخر تفسير أبي نصرٍ، وحاولوا أنْ يصلحوا ذلك في نشرة إلكترونية فحقَّقوه مستقلًّا في نسخة إلكترونية ونشروها؟ ولكنْ كان الكتاب قد طُبِعَ وطار كلّ مطارٍ فمن طالعه ظنّه جميعًا للقشيري، ومن أراد الاقتباس أو نظرَ فيه قد يتوهّم فينسب ما فيه لأبي نصر القشيريّ وليس هو له ولا منه بسببٍ.

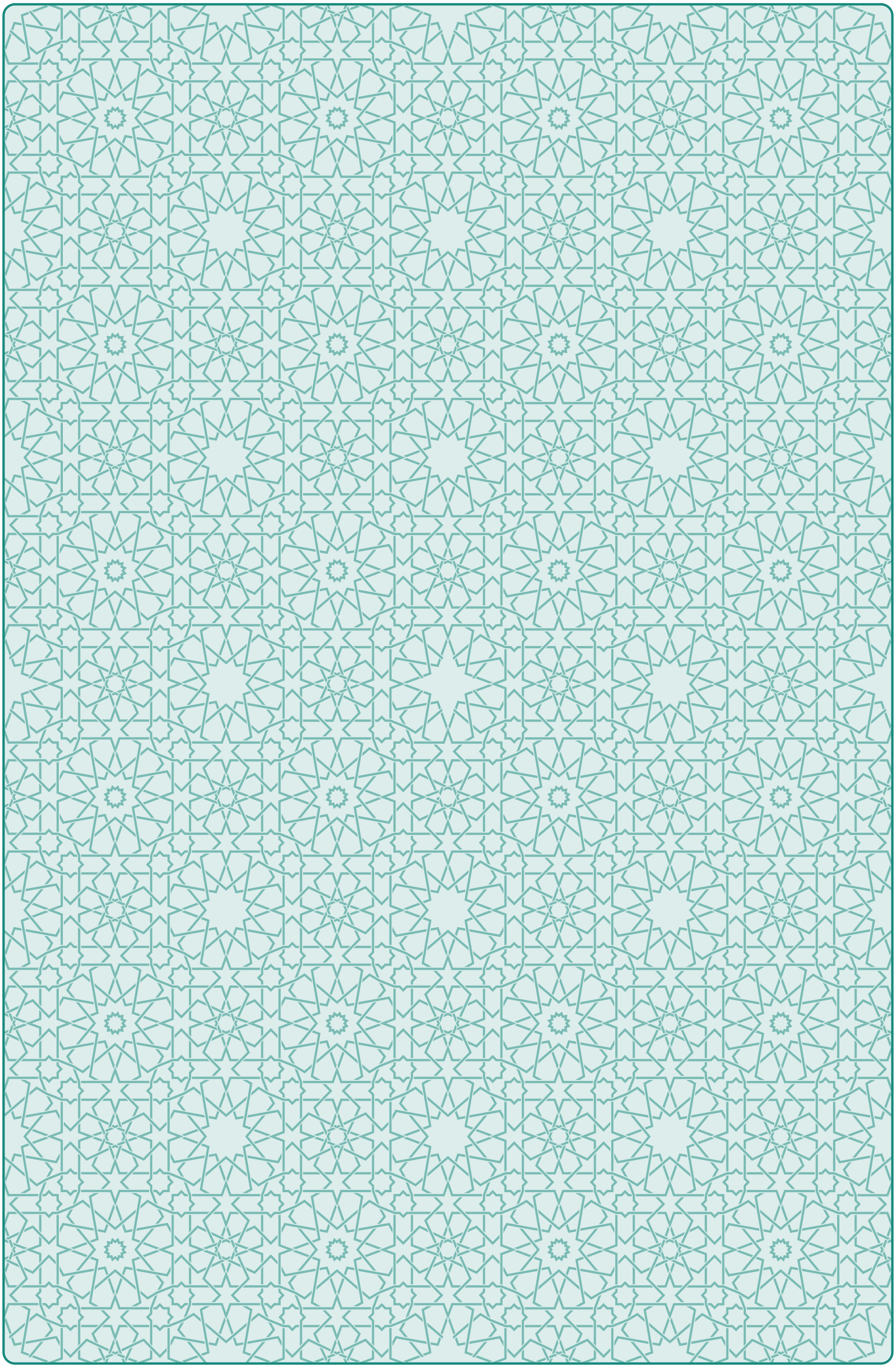
وقد كانوا أشاروا في المقدمة عند وصف إحدى النسخ في موضعٍ قد لا يتنبَّه له القارئ إلى شكٍّ انتابهم في صحة آخر التفسير؟ لكنّ ذلك غيرُ كافٍ، فكيف لو جعل من التفسير صيغة إلكترونية ثمّ انتشرت ونقل منها النّاقلون، وتُركت مقدّمة التحقيق كما هو معهود.

ومع هذا فأشكرُ دار اللّباب وأخص الأستاذ المحقق الباحث: محمد خلوف العبد الله، محقّق التفسير على ما بذله من جهد واضحٍ ووقت كبير في إخراج هذا التفسير بحلة قشيبة، وكلّنا معرّض للوهمِ.

ثمّ إني ألحقتُ بالمحقّق من تفسير أبي نصرٍ للفائدة أيضًا تفسيرَ أوائل سورة النّساء لأنني كنتُ قد حققّته قبل ذلك كبحث محكّم، ونشِرَ قديمًا، فراجعته ونشرته هنا.

فيصبح لدى مقتني هذا المجلد أنموذجين مهمين من تفسيرين مشهورين لهما منزلة رفيعة.

والله تعالى أسأل أنْ ينفع به بمنّه ورحمته.

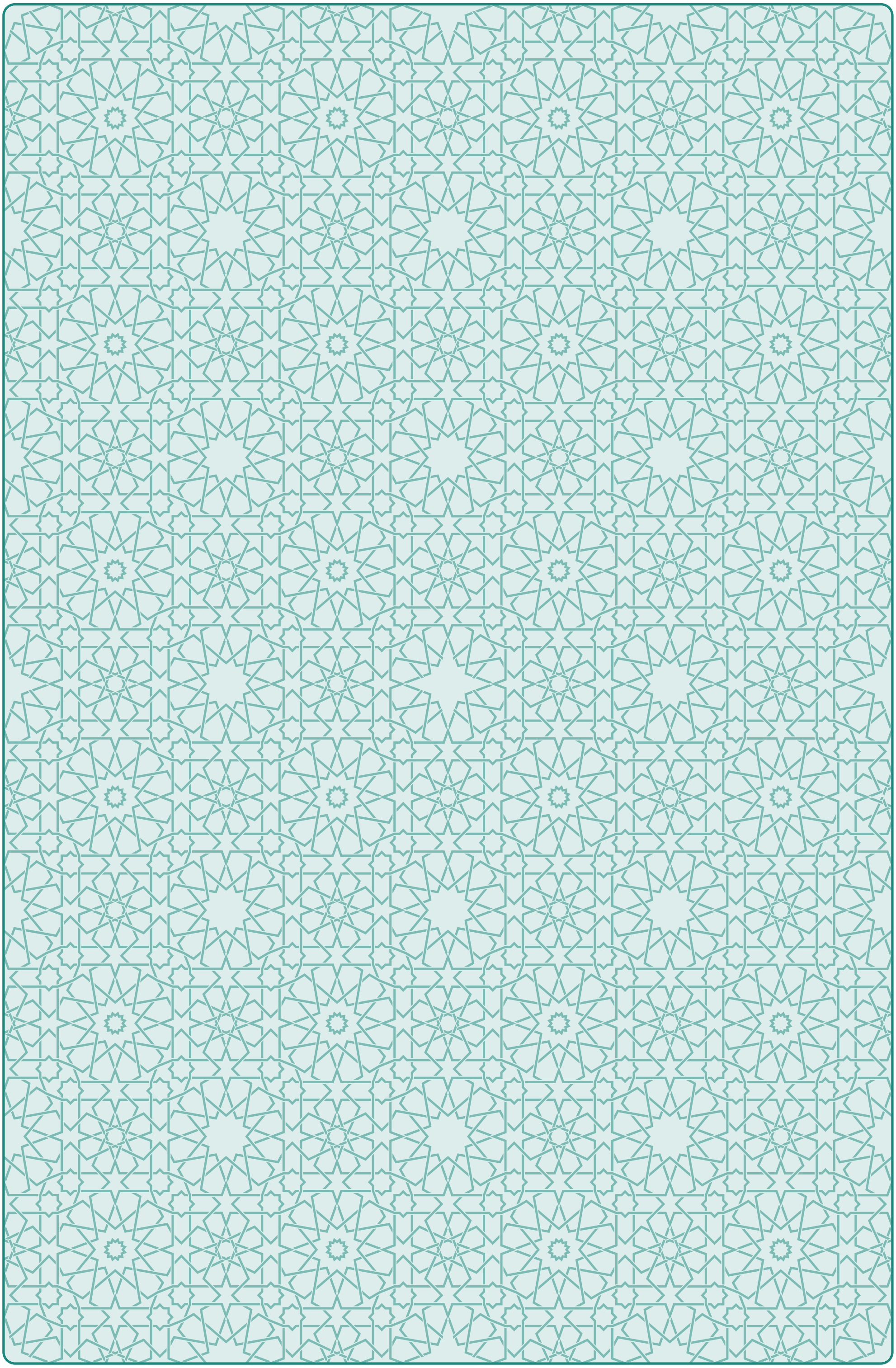


تفسير جزء عم

من التفسير الكبير

للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري

(٣٧٦هـ - ٤٦٥هـ)



من ثناء العلماء على تفسير أبي القاسم القشيري

لقد وصفه جماعة من العلماء بأنّه من أجود التفاسير، وهذا ثناء كبير ومهمّ ولم يطلقوه على كثير من التفاسير. قال العلامة القاضي ابن خِلِّكان[1]: (وأخذ في التصنيف، فصنف التفسير الكبير قبل سنة عشر وأربعمائة، وسماه «التيسير في علم التفسير» **وهو من أجودِ التفاسير**) اهـ.

ونقل عنه الإمام الذهبي هذه العبارة أعني: قوله: (صنّف التفسير الكبير وهو من أجودِ التّفاسير) اهـ[2].

وقال التاج السبكي: (ومن تصانيف الأستاذ: التفسير الكبير وهو من أجودِ التفاسير وأوضحِها) اهـ[3].

فقول السبكي إنه من أجود التفاسير اتفق فيه مع من قبله ثم زاد في مدحه عبارة: (وأوضحها). والتاج السبكي من العارفين بمصنفات أصحابه الشافعية وإن كان غالب اعتماده في التراجم على كتب شيخه الإمام الذهبي.

وقال طاش كبري زاده: (وصنّف التفسير الكبير وسمَّاه: «كتاب التيسير في علم التفسير» وهو من أجود التفاسيرِ) اهـ[4].

---

(١) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٦.

(٢) تاريخ الإسلام: ٣١/ ١٧٤ سير النبلاء: ١٨/ ٢٢٨.

(٣) طبقات الشافعية: ٥/ ١٦٠.

(٤) مفتاح السعادة: ٢/ ٩٦.

وفي كشف الظنون[1]: (التيسير في التفسير للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي المتوفى سنة ٤٦٥ خمس وستين وأربعمائة وهو من أجود التفاسير) اهـ.

وقد فصلت القول في منهج هذا التفسير ومزاياه في مقدمة تحقيقي لما سبق العثور عليه منه وقد طبعته دار اللؤلؤة بمصر في: (٤ مج).

(١) كشف الظنون: ١/ ٥١٩.

ترجمة أبي القاسم القشيري[1]

فصلتُ القول في ترجمة الإمام أبي القاسم القشيري في مقدمة التفسير الكبير للقشيري: بتحقيقي وسألخصها هنا[2].

ونلحظ أنّ المصادر التي ترجمت للإمام أبي القاسم عبد الكَريم بنُ هَوَزِانَ القُشَيريّ كثيرةٌ ولكنّ أهمّها:

---

(١) مصادر ترجمة أبي القاسم القشيري: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣)، دمية القصر (٢/ ٩٩٣-٩٩٨)، كشف المحجوب: صـ ٣٨٢ وهو لعثمان الغزنوي الهجويري المتوفى سنة (٤٦٥ هـ.)، السِّياق في تاريخ نيسابور للحافظ عبد الغافر الفارسي ورقة: (٤٩ب - ٥١ ب)، الأنساب للسمعاني (١٠/ ١٥٦)، تبيين كذب المفتري (٢٧١-٢٧٦)، المنتظم (٨/ ٢٨٠)، الكامل (٨/ ١١٨)، الُّلباب (٣/ ٣٨) في (قشيري)، إنباه الرواة (٢/ ١٩٣)، منتخب السياق للصريفيني (٣٣٤ - ٣٣٥: ترجمة: ١١٠٤)، التقييد لابن نقطة (ترجمة: ٤٦٨)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٥-٢٠٨)، طبقات الشافعية لابن الصلاح (٢/ ٥٦٢)، التدوين في أخبار قزوين للرافعي: ٣/ ٢١٠- ٢١٢، تاريخ الإسلام للذّهبي: ٣١/ ١٧٠، وفي طبعة د/ بشار عواد لتاريخ الإسلام: ١٠/ ٢١٧ - ٢٢٠، سير أعلام النُّبلاء للذهبي (١٨/ ٢٢٧-٢٣٣)، العبر (٣/ ٢٥٩) له أيضا، تاريخ ابن الوردي: ٢/ ٥٢٤، دول الإسلام (١/ ٢٧٤)، تلخيص ابن مكتوم (١١٤)، مسالك الأبصار (٥/ ١/ ٨٩-٩١)، مرآة الجنان (٣/ ٩١-٩٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ١٥٣- ١٦٢)، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٣١٣-٣١٥)، البداية (١٢/ ١٠٧)، عيون التواريخ وفيات سنة ٤٦٥ هـ، فواتُ الوفيات (٢/ ٣٧١)، طبقات الأولياء لابن الملقن (٢٥٧-٢٦١)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (١/ ٢٧٣-٢٧٤)، النجوم الزاهرة (٥/ ٩١-٩٢) طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٣٨-٣٤٦)، مفتاح السَّعادة لطاش كبري (١/ ٤٣٩ و٢/ ١٨٦) شذرات الذهب (٣/ ٣١٩-٣٢٢)، كشف الظنون (٥٢٠، ١٢٦٠، ١٥٥١)، هدية العارفين (١/ ٦٠٧-٦٠٨)، (١/ الرسالة المستطرفة (١٦٦)، الأعلام للزركلي (٤/ ٥٧).

(٢) مقدّمة المطبوع من التفسير الكبير للقشيري: ١/ ١١ بتحقيقي وما بعدها. ط. دار اللؤلؤة بمصر.

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (ت: ٤٦٣هـ)، والسياق -ذيل تاريخ نيسابور- للحافظ عبد الغافر الفارسي حفيد المصنف، وهو من أجلاء المؤرخين وهو أهمّ كتابٍ ترجمَ لأبي القاسم، وتكمُن أهميته في أمورٍ منها:

١. أنه حفيدُ المصنِّف، وقد أدركه، وتتلمذ عليه فهو أخبر من غيره بأحوال جدّه لأمّه، وقد طالتْ صحبتُه بعدَ وفاةِ جدِّه لأخواله أبناء أبي القاسم القشيريّ وبعضهم من العلماء المشهورين. وقد ذكرت تراجمهم في مقدّمة تحقيقي للتفسير الكبير المطبوع[1].

وكان الحافظ عبد الغافر الفارسيّ قد أدرك أيضًا جدّته لأمّه زوجة أبي القاسم الشيخة المسنِدة فاطمة[2] (ت: ٤٨٠هـ) بنت الأستاذ الإمام الحسن بن علي بن محمد بن الدّقّاق، وروى عنها كثيرًا.

٢. شهرة مصنفه وجلالته وكونه من كبار المؤرّخين المعروفين ومن ثقات المحدّثين.

٣. شهرة وأهمية كتابه المذكور، وبخاصّة بالنّسبة لمن أدركهم أو عاصرهم.

ولهذا اعتمد الحفاظ عليه في ترجمة أبي القاسم، فنقل منه الحافظ ابن عساكر ترجمة أبي القاسم القشيري، وكذلك من بعده كابن الصّلاح في طبقات الشافعية، وابن خلكان وغيرهم إلى الحافظ الذهبي ومن بعده.

وقد بقيت لنا ترجمة المصنّف فيما بقي من كتاب السِّياق.

(١) طبع في ٤ مج من أول التفسير إلى أوائل سورة الأنعام -طبع دار اللؤلؤة -مصر.

(٢) ترجمتها في: المنتخب: (رقم: ١٤٣١)، التقييد لابن نقطة: ٢/ ٣٢١، تاريخ الإسلام: ٣٢/ ٩٦، سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٧٩، العبر: ٣/ ٢٩٦.

اسمُه ولقَبُه وكُنيتُه:

هـو زيـنُ الإسلامِ أبو القاسِـم عبـد الكَريم بنُ هَـوَزِانَ بـنِ عبدِ الملِك بـنِ طلْحةُ بـن محمـد القُـشَيريّ، الفقيـه، الأصـوليّ، الواعـظُ المشـهور، النَّيسَـابُوريّ، الشَّـافعي. (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ).

نسبُه:

أصلـه من ناحية أُسـتُوا[١] من أعمال نَيسـابور مـن العرب الذين وردوا خراسـان وسـكنوا النواحـي، وهـو قُـشَيري[٢] الأب، سُـلميّ الأم، وخاله أبو عقيل السّـلمي من وجـوه ناحية أُسـتُوا، تـوفّي أبوه وهـو طِفل[٣].

مولده:

مولـده سـنة: ٣٧٦هـ. قـال الخطيـب: (سَـألتُ القُشَيري عـن مولـده، فقال: في ربيـع الأول من سـنة سـتٍّ وسـبعين وثلاثمائـة)[٤].

---

(١) قال ابن خلكان: (أُسـتُوا: بضم الهمزة وسـكون السـين المهملـة وضمِّ التاء المثنَّاة مـن فوقها أو فتحِها وبعدَهـا واوٌ ثـمّ ألف، وهي ناحيةٌ بنيسـابورَ كثيـرةُ القُرى، خرج منهـا جماعة من العلمـاء) اهـ. وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٨ ومعجـم البلدان: ١/ ٢٤٣، ومراصد الاطلاع: ١/ ٧١، وفيهما الاقتصار على الضمّ.

(٢) بضـم القـاف وفتـح الشـين المعجمـة وسـكون اليـاء المنقوطة مـن تحتهـا باثنتين وفـي آخرهـا الرَّاء، هـذه النّسـبة إلـى بني قُشَـير بـن كعـب بـن ربيعـة بـن عامـر بـن صعصعـة، قبيلـةٌ مـن العرب ينتسـب إليهـا كثيـر مـن المشـاهير منهم الإمام مسـلم بـن الحجاج صاحـب الصحيـح: الإكمال لابـن ماكولا: ١/ ٤٣٩، والأنسـاب ٤/ ١١١، واللبـاب: ٢/ ١١٣.

(٣) ذكـر هـذا كلـه حفيـده فـي السـياق: ورقـة ٥٠ ونقلـه الصَّريفينـي فـي المنتخـب، وهـو فـي كثيـر من مصـادر ترجمتـه.

(٤) ذيل تاريخ بغداد: ١١/ ٨٣.

وفاته:

اتفقوا على أنه توفي سنة (٤٦٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فقد عاش على هذا تسعًا وثمانين سنة[١].

الثناء عليه:

ثناء العلماء على أبي القاسم ثناءٌ كثير، وسأذكر هنا بعضًا منه، وقد نقلت جملة كثيرة من ثنائهم عليه في مقدّمة تحقيق تفسيره الكبير[٢].

ولأبي القاسم شهرة وجلالة في عصره ومن أسبابِ شُهرته كونه من كبار فقهاء الشافعية ومن مشاهير علماء الأصول منهم، كما أنّه كان مشهورًا بالوعظ والتّذكير.

قال الحافظ الخطيب البغدادي: (حدَّث ببغداد وكتبنا عنهُ وكانَ ثقةً، وكانَ يعِظُ وكانَ حَسَنَ المواعِظِ مليحَ الإشَارةِ، وكان يعرِف الأُصولَ على مذهَبِ الأشعريّ، والفُروعَ على مذهبِ الشَّافعِي) اهـ[٣].

وقال الهجويري[٤] علي بن عثمان الغزنوي المتوفّى سنة (٤٦٥ هـ). وهو معاصِرٌ لأبي القاسم: (الأُستاذ الإمام وزينُ الإسلام، البديع في زمانه، والرَّفيع في قدرِهِ. ومنزلتُهُ كبيرةٌ ومعلومةٌ لأهل زمانه، وله من أحوالِهِ وأنواعِ فضله لطائف كثيرةٌ في كلِّ

(١) وأمّا قول الإمام الذَّهبيّ: (عاش تسعين سنة) اهـ. سير النبلاء: ١٨/ ٢٣٢ فالأمر يسير، ولعل هذا بناء على ما ذكره هو من أنّ مولده سنة ٣٧٥هـ. وهو مرجوحٌ كما بيّنته في ترجمة أبي القاسم الموسعة.

(٢) مقدمة التفسير الكبير للقشيري: بتحقيقي: ١/ ١١. والمطبوع منه: من أول التفسير إلى سورة الأنعام.

(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٨٣).

(٤) كشف المحجوب: للهجويري الصوفي: صـ ٣٨٢. ينظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه طبعة دار النهضة العربية وكشف الظنون (١٤٩٤)، هدية العارفين (١/ ٦٩١)، معجم المؤلفين (٢/ ٤٧٥).

فـنّ، وتصانيف نفيسـةٌ كلّها محقّقـةٌ، وقد حفظَ الله تعالى حاله ولسـانه من الحشـو) اهـ.

وقـال حفيـده الحافظُ عبـد الغافر بن إسماعيـل الفـارسيّ: (الإمام الفقيـه المتكلِّم الأُصـولي المفسِّر الأديـبُ النّحـوي الكاتـب الشّـاعر، لسـانُ عصره، وسـيّد وقتـه... شـيخ المشـايخ وأسـتاذ الجماعـة... جمع بين علـم الشريعـة والحقيقـة[١] وشرحَ أحسـنَ الشَّرح أصـولَ الطريقـة) اهــ باختصـار[٢]. ونحـو ذلك قـال الحافظ ابن السـمعاني[٣].

وقـال السـمعاني أيضًـا: (الأسـتاذ الإمـام، أحـد مشـاهير الدنيـا بالفضـل والعلـم والزهـد) اهـ[٤]. وقـال ابن الـصّلاح: (الفقيه الصـوفيُّ، المفتنُّ في العلوم) اهــ[٥]. وقال ابـن خِلّـكان: (كان علّامـة في الفقـه والتفـسير والحديـث والأصول والأدب والشـعر والكتابـة وعلـم التصـوف جمـع بين الشريعـة والحقيقـة أصلـه مـن ناحيـة أُسـتُوا مـن العـرب الذيـن قدمـوا خراسـان تـوفي أبوه وهـو صـغيرٌ، وقـرأ الأدب)[٦].

وقـال الذهبي: (الإمام الزّاهد القدوة الأسـتاذ)[٧] وقال أيضا: (كان عديمَ النظير في السـلوك والتـذكير، لطيـف العبـارة، طيّـبَ الأَخلاق، غوّاصًـا على المعـاني) اهـ[٨].

(١) يعـرّف أبو القاسـم القشـيري الشـريعة بأنها أمـرٌ بالتـزام العبودية، قـال: (والحقيقة: مشـاهدة الربوبية. ثـمّ قـال: وكلّ حقيقة غيـر مقيدةٍ بالشـريعة فغير مقبول) اهـ. الرسـالة القشـيرية: صــ ١١٨. فهذا كلام حسـنٌ وشـرط معتبـرٌ لكن كثيـرًا من اصطلاحـات القوم ليسـت مبنية علـى طريقة السـلف المتقدمين، وفيهـا تكلـف وأمـورٌ، فلهـذا قال ابـن الجوي وغيـره ما قالـوه. والله يرحـم الجميع.

(٢) السياق: ورقة: ٤٩، منتخبه للصريفيني: منتخب السياق للصيرفي (ت: ١١٠٤).

(٣) نقله الإمام الذهبي في التاريخ والسير الموضع السابق والسبكي في طبقاته وغيرهما عنه.

(٤) الأنساب: ١٠/ ٤٢٧.

(٥) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٢.

(٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٣/ ٢٠٥.

(٧) سير أعلام النُّبلاء: ١٨/ ٢٢٧.

(٨) سير النبلاء: ١٨/ ٢٢٩.

شيوخه:

شيوخ أبي القاسم كثيرون، ومن أبرز شُيوخه الحافظُ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن البيِّع الحاكم (٣٢١ - ٤٠٥هـ). صاحب تاريخ نيسابور والمستدرك وغير ذلك.

ومن شيوخه: المحدّث عالي الأسانيد أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمي (٣٢٥ - ٤١٢هـ)[(١)] صاحب طبقات الصّوفية وغيرها تلميذ الدارقطني، وأثنى عليه الخطيب البغدادي وغيره وقال الإمام الذهبي: (وللسُّلمي سؤالاتٌ للدَّارقطني عن أحوال المشايخ الرُّواة سؤالَ عارفٍ، وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديثُ وحكاياتٌ موضوعة، وفي «حقائق تفسيره» أشياءُ لا تسوغ أصلا، عدَّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدّها بعضهم عرفانًا وحقيقة، نعوذ بالله من الضّلال ومن الكلام بهوى، فإنّ الخير كلَّ الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ) اهـ[(٢)].

وسمع من أبي الحسين أحمد بن محمد الزّاهد الخفّاف النّيسابوري مسند

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، ٢٤٩، السياق: ورقة: ٣، المنتخب من السياق: (ت: ٤)، الأنساب ٧/ ١١٣، المنتظم ٨/ ٦، الكامل في التاريخ ٩/ ٣٢٦، اللباب ٢/ ١٢٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٠، سير النبلاء: ١٧/ ٢٤٧، العبر ٣/ ١٠٩، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٣، ٥٢٤، دول الاسلام ١/ ٢٤٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٤٦، ١٠٤٧، عيون التواريخ ١٢/ ١٤٧/ ١، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٨٠، ٣٨١، مرآة الجنان ٣/ ٢٦، مختصر دول الاسلام ١/ ١٩٠، طبقات السبكي ٤/ ١٤٣ - ١٤٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٢، ١٣، طبقات الاولياء ٣١٣ - ٣١٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٦، لسان الميزان ٥/ ١٤٠، ١٤١.

(٢) سير النبلاء: ١٧/ ٢٥٧.

خراسان (ت: ٣٩٥هـ)[١]. ومن مسنِد خراسان أبي نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد الأزهري الإسفراييني (ت: ٤٠٠هـ)[٢].

ومن مشاهير شيوخ أبي القاسم القشيري الذي يكثر النقل عنهم في كتبه، ويجلهم: العلامة المفسّر الأصولي أبو بكر محمد بن الحسن[٣] ابن فُوْرَك[٤] (ت: ٤٠٦هـ) وقد ترجم له الحاكم في تاريخ نيسابور -وهو عصريُّه- فقال: (الأديب المتكلِّم، الأصولي، الواعظ، النحويّ... فأحيى الله به في بلدنا أنواعًا من العلوم وظهرت بركته على جماعة من المتفقِّهة) اهـ[٥]. باختصارٍ. ثمّ أطال الحاكم في الثناء عليه.

وقال الذّهبي: (الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلِّمين) اهـ[٦]. وقال أيضًا:

(١) ترجمته في: الإكمال: ٣/ ٢٩٥ والأنساب: ٥/ ١٥٦ - ١٥٧، التقييد لابن نقطة: ١/ ١٩٨، سير النبلاء: ١٦/ ٤٨١، العبر: ٣/ ٥٨، شذرات الذهب: ٣/ ١٤٥.

(٢) الأنساب ١/ ٢٣٦، سير النبلاء: ١٧: ٧١، العبر ٣/ ٧٣، تذكرة الحفاظ: ٣/ ٢، شذرات الذهب ٣/ ١٥٩.

(٣) ترجمته في: السياق: ورقة: ٢، الأنساب للسمعاني: ١٠/ ٢٥٧، تبيين كذب المفتري ٢٣٢، تكملة الإكمال لابن نقطة: ٤/ ٥١١، منتخب السياق: (ت: ١)، إنباه الرواة ٣/ ١١٠، ١١١، طبقات ابن الصلاح: ١/ ١٣٦ (ترجمة: ١٨)، اللباب لابن الأثير: ٢/ ٢٢٦ وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٢، ٢٧٣، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٤ - ٢١٦، العبر ١/ ٩٥، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٤٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧، ١٨، طبقات السُّبكي ٤/ ١٢٧ - ١٣٥، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٠، تاج التراجم ٤٦، شذرات الذهب ٣/ ١٨١، ١٨٢، تاج العروس ٧/ ١٦٧.

(٤) فُوْرَك وهو اسم عَلَم: ضبطها الحافظ ابن نقطة والسمعاني وابن الأثير وابن خلكان والصّفدي وابن العماد بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعدها كاف، وضبطها الزّبيدي بضمِّ الفاء وفتحِها والمعتمَد قول السمعاني وابن نُقْطة ومن معهم.

(٥) طبقات ابن الصلاح: ١/ ١٣٦ والسبكي: ٤/ ١٢٨.

(٦) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٦.

(كان أشعريًّا، رأسًا في فنّ الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي[1] صاحبِ الأشعري) اهـ. وقد حدّث عن ابن فورك جماعة من مشاهير الحفاظ والعلماء منهم: أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وهو عالي السند. وكان شديد الرَّدِّ على أصحاب أبي عبد الله ابن كرَّام.

ومن شيوخه: الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي. إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الملقَّب بركن الدين (ت: ٤١٨هـ)[2]. وهو الإمام الفقيه الأصولي الزاهد، يعدّ من المجتهدين في عصره. كان من المجتهدين في العبادة، المعروفين بالوَرَع، انتخب عليه الحاكم عشرة أجزاء، وذكره في «تاريخه» لجلالته.

وكان ثقةً ثبتًا في الحديث حدّث عنه: أبو بكر البيهقي وأكثر الرواية عنه في تصانيفه. قال الإمام الذهبي: «الإمام العلامة الأوحد، أحد المجتهدين في عصره، وصاحب التصانيف الباهرة» اهـ[3].

تلاميذه:

كان لأبي القاسم القُشَيريّ رَحِمَهُ اللَّهُ تلاميذُ كثيرون في نيسابور وفي غيرها من

(١) أبو الحسن الباهلي تلميذ أبي الحسن الأشعري، ترجمته في: تبيين كذب المفتري: ص ١٧٨، سير النبلاء: ١٦/ ٣٠٤، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٣١٢.

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٦، الأنساب ١/ ٢٣٧، تبيين كذب المفتري ٢٤٣، ٢٤٤، منتخب السِّياق: (ت: ٢٦٩)، معجم البلدان ١/ ١٧٨، اللباب ١/ ٥٥، طبقات ابن الصلاح: ١/ ٣١٢ (ت: ٨٧)، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٦٩، ١٧٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٨، سير النبلاء: ١٧/ ٣٥٣، العبر ٣/ ١٢٨، الوافي بالوفيات ٦/ ١٠٤، ١٠٥، مرآة الجنان ٣/ ٣١، طبقات السبكي ٤/ ٢٥٦ - ٢٦٢، طبقات الإسنوي ١/ ٥٩، ٦٠، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤، كشف الظُّنون ١/ ٥٣٩، شذرات الذهب ٣/ ٢٠٩، ٢١٠، هدية العارفين ١/ ٨.

(٣) سير النبلاء: ١٧/ ٣٥٣.

البلدان التي أقام فيها كبغداد، وقد عاش عُمرًا مديدًا (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ) واجتمع له علوّ الإسنادِ عن أئمّة الحديث مع المعرفةَ بالتّفسير والأصول والفقه، وغير ذلك، ففي تلاميذه كثرةٌ.

وقد روى عنه من الأئمّة الكبار: أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد كثيرًا وروى عنه أيضا في غيره من كتبه، وممن صحبه وقرأ عليه الأصول الإمام الهذلي يوسف بن علي صاحب: «الكامِل في القراءات»(١).

وممّن روى عن أبي القاسم القشيري أبناؤه الستة: أبو سعد عبد الله، وأبو سعيد عبد الواحد، وأبو منصور عبد الرحمن، وأبو نصر عبد الرحيم وهو صاحب التفسير ستأتي ترجمته مفردة، وأبو الفتح عبيد الله، وأبو المظفر عبد المنعم، وروى عنه الحافظ عبد الغافر الفارسي صاحب ذيل تاريخ نيسابور المسمّى بالسياق كما سبق.

ومن تلاميذه المشهورين:

الإمام، العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرّاء البغوي الشافعي: (ت: ٥١٦هـ)(٢) وهو صاحب التفسير و«شرحُ السنَّة» وغيرها يَروِي عنه كثيرًا في تفسيره.

(١) توفي سنة: ٤٦٥هـ له ترجمة في كثير من الكتب منها: الإكمال: ١/ ٤٥٨ -٤٥٩ ومعرفة القراء للذهبي: ١/ ٨١٥. وفيه ذكر استفادة أبي القاسم منه في مسائل النحو وقراءة الهذلي عليه في الأصول.

(٢) وفيات الأعيان ٢: ١٣٦، العبر: ٤/ ٣٧، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٢٥٧ سير النبلاء: ١٩/ ٤٣٩، الوافي بالوفيات: ١٣/ ٢٦، عيون التواريخ: ١٣/ ٣٢٧ - ٣٢٨، مرآة الجنان: ٣/ ٢١٣، طبقات السبكي: ٧/ ٧٥ - ٨٠، طبقات الإسنوي: ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦، البداية: ١٢/ ١٩٣، النجوم الزاهرة: ٥/ ٢٢٣، ٢٢٤، مفتاح السعادة: ١/ ٤٣٥، ٢/ ١٨.

والإمام، الفقيه المفتي، مسند خراسان، فقيه الحرم، أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الصاعدي الفَرَاوي[(١)] النيسابوري الشافعي.

قال الحافظ ابن عساكر: (إلى الفَراوي كانت رحلتي الثانية، وكان يُقصَد من النواحي لما اجتمع فيه من علوّ الإسناد، ووفور العلم، وصحة الاعتقاد، وحسن الخلق، والإقبال بكليته على الطالب، فأقمت في صحبته سنة كاملة، وغنمتُ من مسموعاته فوائدَ حسنة طائلة) اهـ. (ت: ٥٣٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولجلالة أبي القاسم القشيري وعلوّ سنده فقد روى عنه الحميدي (ت: ٤٨٨هـ) بالإجازة في «جَذوة المقتبِس» وهو معاصِرٌ له فقال: (أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النّيسابوري في إجازة وصلت إلينا منه، وقرأتُه بخط أبي بكر أحمد بن علي الحافظ، فيما حدّث به عنه) اهـ[(٢)].

وقد فصّلت أكثر في شيوخه وتلاميذه في ترجمته الموسّعة[(٣)].

منهجه العقديّ:

أفردتُ مبحثًا للكلام على منهجه العقدي في مقدّمة تحقيقي لتفسيره الكبير المطبوع سابقًا إلى أوائل سورة الأنعامِ، ولذلك فسأوجز هنا القول في ذلك.

أبو القاسم القشيري معدودٌ في مشاهير أتباعِ أبي الحسن الأشعري، فقد

(١) قال ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه»: ٢/ ١٩٣: (جزم بالضم ابن السمعاني وغيره، وبالفتح آخرون، وهو الأكثر) اهـ. وفي «تبصير المنتبه»: ٣/ ١١٠٠: اختلف في ضم الفاء وفتحها، قال ابن نقطة: الفتح أكثر وأشهر. قلتُ: والضمّ في الأنساب، واللباب، ووفيات الأعيان.

(٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: ص١٧٨.

(٣) المطبوع من التفسير الكبير للقشيري - بتحقيقي -: ١/ ١١٤.

تتلمذَ على بعضِ المتقدّمين من تلاميذ تلاميذ أبي الحسن الأشعري كابنِ فُورَك(١).

وأبو القاسم يسلك طريقة متقدّمي الأشاعرة، ولم يقعْ منه ما وقع لبعض متكلّمي الأشاعرة المتأخرين ممن توغّلوا في علم الكلامِ، وهو في غالب مسائل الاعتقاد من القَدَر والوعْدِ والوعيد والقول في الصّحابة ووجوب الأخذ بالسنة الصحيحة وغير ذلك على طريقة أهل السنّة، وهو في مسائل الصّفات يثبت غالبًا الصفات الخبريّة، وإن كان قد اضطرب كلامه في بعضها فمرةً يسلك مسلك الإثبات والتّنزيه، ومرة يسلك مسلكَ التّأويل، وهو -فيما بدا لي- في مسألة الكلام الإلهي على طريقة متقدّمي الأشاعرة وقد يسلك مسلك التفويض في الصفات والكلام.

ومن كلامِ شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: (فصلٌ فيما ذَكَرَه الشيخ أبو القاسم القُشَيرى في رسالته المشهورة من اعتقادِ مشايخ الصّوفية فإنه ذكر من متفرِّقات كلامهم ما يُستدَلُّ به على أَنّهم كانوا يوافقون اعتقاد كثير من المتكلّمين الأشعرية، وذلك هو اعتقاد أبي القاسم الذي تلقاه عن أبي بكر بن فُورَك وأبي إسحاق الإسفراييني، وهذا الاعتقاد غالبُه موافقٌ لأصول السلف وأهل السنة والجماعة لكنّه مقصِّرٌ عن ذلك ومتضمِّنٌ تَرْكَ بعضَ ما كانوا عليه، وزيادةٍ تخالِفُ ما كانوا عليه، والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافقُ ما كان عليه السّلف) اهـ(٢).

---

(١) قال الإمام الذهبي: (رأيتُ لأبي الحسن الأشعري أربعةَ تواليفَ في الأُصول يذكرُ فيها قواعد مذهبِ السَّلف في الصِّفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقولُ، وبه أدينُ، ولا تؤَوَّل) اهـ. سير النبلاء: ١٥/ ٨٦. قلت: وكذلك ذكر في كتابه الإبانة ومقالات الإسلاميين وهو المذهب الذي نقله عنه الإمام القشيري في رسالته: شكاية أهل السنة، ونقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري، لكن أبا الحسن الأشعري كثير التصانيف وفي بعضها ما يخالف مذهب السلف وأهل الحديث. وتلك قضية يطول الكلام عليها جدًا.

(٢) الاستقامة: صـ ٨٤.

وقـد نفـى هو عن نفسـه بعض التّهم في رسـالته شـكاية أهلِ السـنة. وقد ذكرت ذلك في الترجمة الموسـعةِ.

تصانيفه:

الإمـام أبـو القاسـم القُـشَيري مـن المكثِريـن مـن التصنيـف وتصانيفـه في علومٍ شـتى، ومصنفاتـه قد سـارت شرقًـا وغربًـا في حياتـه[١].

قال الإمام ابن الصّلاح: (له تصانيفُ كثيرةٌ في فنونٍ) اهـ[٢].

قـال حفيـده الحافـظ عبـد الغافـر في ذيـل تاريـخ نيسـابور: (صنـف: (التفسـيرَ الكـبير المعـروف) اهـ[٣].

وبعـده في الموجـود مـن مخطوطة السِّـياق كلمـةٌ غير واضحـة. ووَقَـع في منتخَب السـياق[٤]: (صنّـف: «التفسـيرَ الكـبير» قبـل العشرِ وأربعِ مئـة) اهـ. وهكـذا نقل ابن الـصلاح عـن عبـد الغافـر الفـارسي: قـال: (صنّـف: «التفسـيرَ الكـبير» قبـل الـعشرِ وأربـعِ مئـة[٥]) اهــ. ومولـده سـنة: (٣٧٦هــ) فيكون ابتـداءُ تصنيفِـهِ لهُ وسـنّه قرابة أربـع وثلاثين عامًا.

وقـد فصّلـت القـول في كتبـه المخطوطـة والمطبوعـة في مقدّمـة تحقيـق تفسـيره التفسـير الكـبير فتنظـر هنـاك، وسـأعيدها مـع ذكْـر ما اسـتجدّ لي عنـد طباعـة تفسيره هـذا كاملًا بـإذن الله تعـالى.

(١) السياق: ورقة: ٥٠أ.

(٢) طبقات الشافعية: ٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩.

(٣) السياق: ورقة: ٥٠.

(٤) منتخب السياق: صـ ٣٣٥ وطبقات ابن الصّلاح: ٢/ ٥٦٤.

(٥) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٤.

* تنبيه:

من كتب أبي القاسم القشيري المطبوعة:

١. «لطائف الإشارات في التفسير» وهو غير تفسيره هذا: فلطائف الإشارات تفسيرٌ صوفي على طريقة الإشارات، وفيه فوائد وعليه مآخذ، وهو من أكثر ما صُنّف في نوعه اعتدالًا كما سيأتي عن القاضي أبي بكر بن العربيّ.

وهو بلا اختلافٍ عند العلماءِ المترجِمينَ له- غيرُ كتابه هذا: التيسير في التفسير أو «التفسير الكبير» الذي منه هذا القسم الذي يُطبع لأول مرة. وتفسيره الكبير هو الذي أثنى عليه جمعٌ من العلماء.

ومن أحسن من وصف لطائف الإشارات من الأئمّة المتقدّمين: الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي فقد قال: (ومن علم الباطن أن تستدلّ من مدلول اللفظ على نظير المعنى، وهذا باب جرى في كتب التفسير كثيرًا، وأحسن ما أُلّف فيه: «اللطائف والإشارات للقشيري» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنّ فيه لتكلّفًا أوقعَهُ فيه ما سلكهُ من مقاصد الصوفية، فخذوا ما تعلمون وقفوا دون ما تجهلون) اهـ[١].

وما من شكّ أن فيه فوائد ولطائف كثيرة، وفيه أيضًا مع ذلك ما فيه نظرٌ ظاهرٌ، وتكلّف وغير ذلك.

وقد قال الإمام ابن الجوزيّ: (وصنف لهم عبد الكريم بن هوزان القشيري كتاب الرّسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء... والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك

(١) قانون التأويل: صـ ٥٢٦.

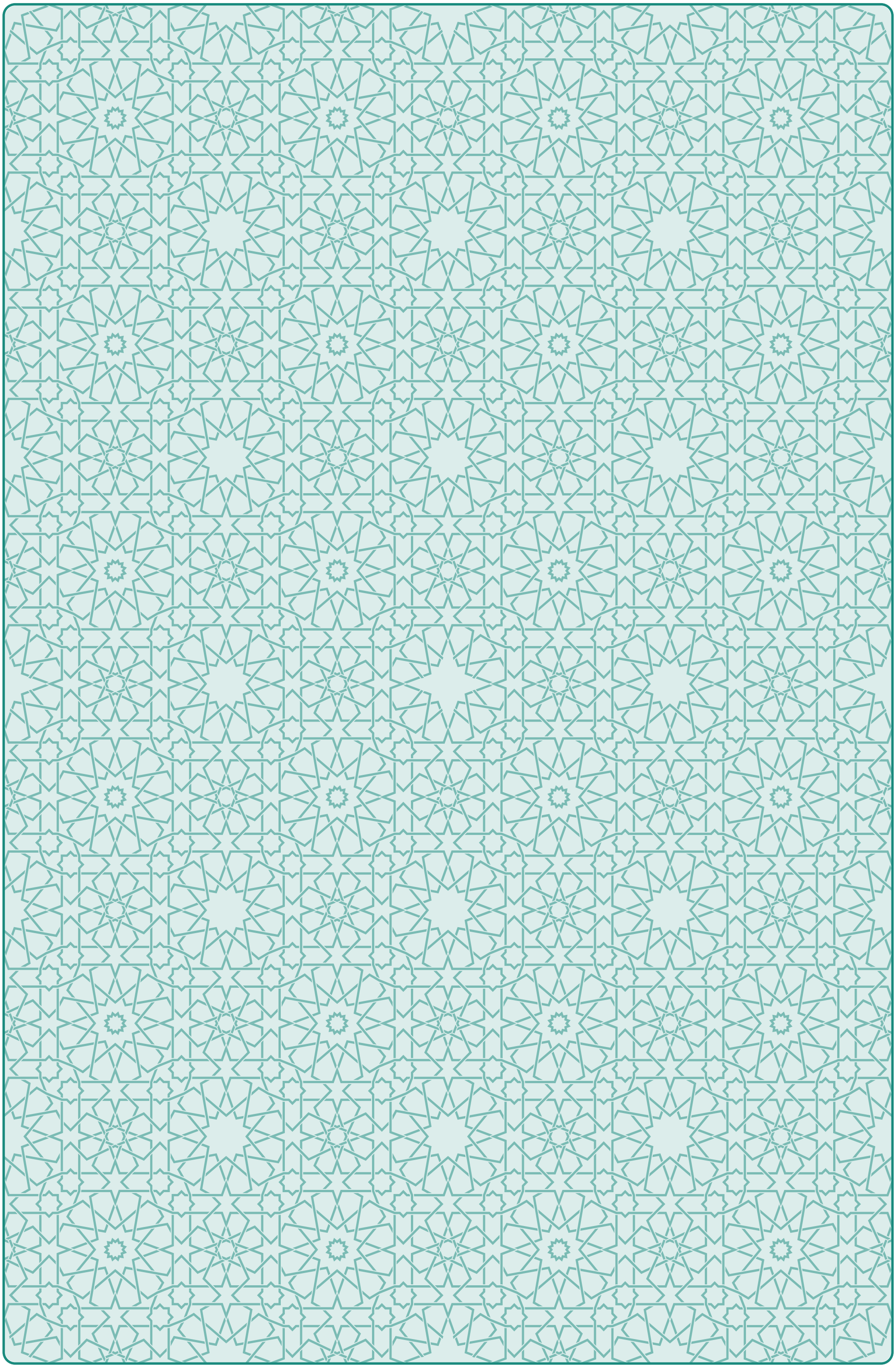
مـن التخليـط الـذي ليـس بشيءٍ وتفسيره أعجـبُ منه) اهــ. باختصـارٍ[١].

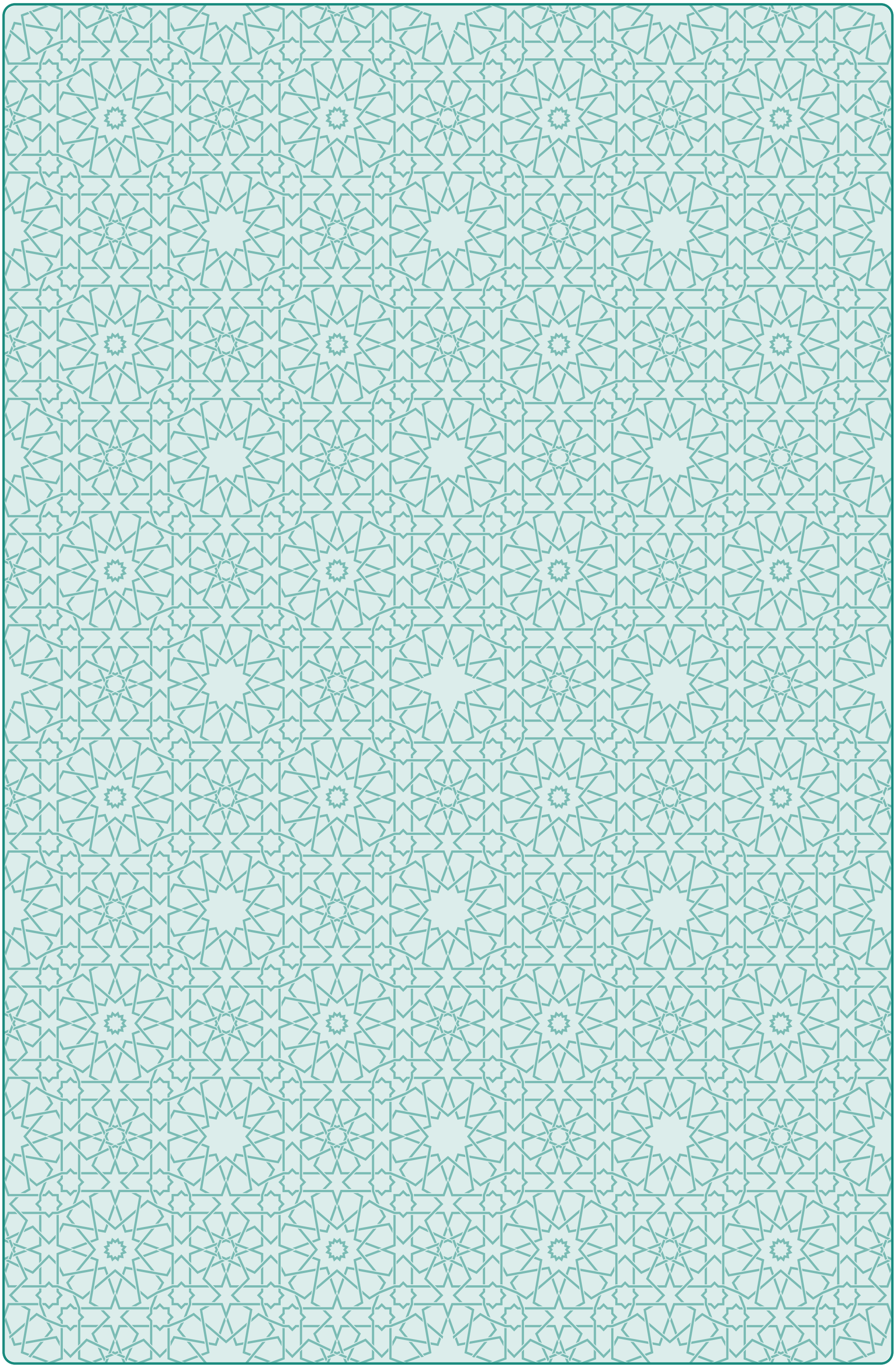
٢. «**الرسـالة القُشيريـة**»: المشـهورة الذائعـة الصّيـت. وهـي من أشـهر كتبه وقد ألفهـا سـنة: ٤٣٧هــ. وقد خصصـت مبحثًا للـكلام عنها هنـاك فلا حاجـة لإعادته.

وممـا نقلتـه هنـاك قـول شـيخ الإسلام ابـن تيميـة: (ومـا ذَكَـرَهُ أبـو القاسـم في رسـالته مـن اعتقادهـم وأخلاقهـم وطريقتهـم فيـه مـن الخير والحـق والديـن أشـياءُ كـثيرة، ولكـنَّ فيـه نقصًـا عـن طريقـة أكثـر أوليـاء الله الكامـلين، وهـم نَقَـاوة القرون الثلاثـة ومن سـلك سـبيلهم، ولم يذكـر في كتابه أئمة المشـايخ من القـرون الثلاثة، ومع مـا في كتابـه من الفوائـد في المقـولات والمنقولات ففيـه أحاديث ضعيفة بـل باطلةٌ وفيه كلماتٌ مجملـة تحتمـل الحـق والباطل رواية ورأيا وفيـه كلمات باطلة في الـرأي والرواية، وقـد جعل الله لـكل شيءٍ قـدْرا) اهـ[٢].

(١) تلبيس إبليس: صـ ٢٠٥.

(٢) الاستقامة: صـ ٨٩.





سورةُ النّبأ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ
٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا
٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ
سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ
حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦﴾

قولـه: ﴿عَـمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أيْ: عـن أيِّ شيءٍ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يعنـي: قريشًـا، لفظُـه اسـتفهامٌ ومعنـاه: تفخيـمُ القصّـة، كما تقـولُ: أيّ شيءٍ زيـدٌ؟

ثـمّ بيَّنَ سـبحانه فقـال: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ فـكأنّ السـؤال مـن جهتِهم وكذلك الجـواب كانَ مـن قِبلهم، وجـاء في التَّفسِير عما يتحدّث بـه قريشٌ فيما بينَهـمْ، ثمّ أجابَ فقال: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

وأصـل ﴿عَمَّ﴾ عَـنْ مَا، وأُدغِمَـتْ النّون في الميـمِ لاشتراكِهما في الغُنَّـة، وحُذِفَتْ الألـفُ مِـن (ما) لاتّصـالها بـ(عـن) حتّى صارت كجُـزءٍ منه.

ومعنى ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أيْ: يسألُ بعضُهم بعضًا.

ومِن النّاسِ مَنْ قال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ استفهامٌ، وعن النبي العظيم استفهامٌ آخرُ، أيْ: أَعن النّبأ العظيم يتساءلون؟ كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ أيْ: أفهمُ الخالِدون؟ والأوّل أجودُ للفَرْقِ بين الخبرِ والاستفهامِ[1].

واختلفُوا في المعني بقوله: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فقال ابن عبّاس ومقاتل: أرادَ به القرآنَ، وذلك أنّ قريشًا كان إذا نزلَ شيءٌ من القرآنِ تحدّثوا به؛ فمِن بين مصدِّق به ومكذِّب، وقيل: أراد / به القِيامَة وهو ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أيْ: الخبرُ عما هو عظيمُ الشأنِ، عن الحسن وقَتَادة. (٢٣٩/أ)

ويدلّ عليه إنكارُهم للبعثِ واختلافُهم فيه، وقولُه بعده: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾. وقيل: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ عن أمرِ النّبي صلّى الله عليه، وكانوا مختلفين في تصديقِه وتكذيبِه.

وقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردْعٌ وزجْرٌ، أيْ: ارتدِعوا، ليس الأمر كما ظننتم، ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، القراءةُ: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ بالياء، وقرأ الحسن: (ستعلمون)

(١) ذكره الواحديّ ولم ينسبه، وتفسير المصنف سابق لتفسير الواحدي تأليفًا والمصنف أكبر سنًّا ولقيًّا من الواحدي، والواحدي إمام في فنّ التفسير وما يتصل به من علوم العربية. البسيط: ٢٣/ ١١١. ولكن لم يذكر الواحديّ الترجيح الذي ذكره المصنّف وهو ترجيح حسنٌ. ثمّ وقفتُ على هذا الوجه من التفسير والترجيح في تفسير الإمام أبي القاسم ابن حبيب (ت: ٤٠٦). ورقة: ٢٣٦. نسخة مخطوطة ناقصة سأصفها في موضعٍ آخر. فائدة: أبو القاسم بن حبيب هذا علّامة مفسر ثقة، ولا يضره ما رُوي من كلام الحاكم فيه في ورقة نُقلت عن الحاكم؟ وفي تلكم الورقة إشكالاتٌ منها: تضعيف بعض الحفاظ المتفق على عدالتهم؟! وسأبيّن ذلك عند تحقيق بعض تفسيره بإذن الله. وقد ترجم له الحافظ عبد الغافر الفارسي في السياق فأثنى عليه كثيرًا؟ وهو بلديّه وهو أعلم بأحواله. وأيضًا فقد روى عن أبي القاسم بن حبيب جماعة من الحفاظ منهم البيهقي ولم يتهموه. وسأبين هذا بيانًا شافيًا في موضع آخر. بإذن الله.

بالتّـاء[1]، ﴿ثُـمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أيْ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ممّـا ينالُهـم يـوم القِيامَـة ﴿ثُـمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ مـا ينالُهـم في جهنّـم مـن العـذاب.

قولـه: ﴿أَلَـمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ اسـتفهامٌ في معنـى التّقريـرِ، وقُـرِئ: (مَهـدًا) والمعنـى فيـهما واحـدٌ، ومعنـاهُ: أنّـا ذلّلناهـا لهـمْ حتّـى سـكَنُوها وسـارُوا في مناكِبِهـا.

وجـاء في التَّفـسِير: ﴿مِهَٰدًا﴾ أيْ: فِراشًـا، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ جـاء في التَّفـسِير أنّـه لما خُلِقَـتْ في الأرضِ كانـت تميـدُ وتذهـبُ في كلّ جانـبٍ، فخلقَ الله الجبـال لها رواسيَ فاسـتقرّت، ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ قيـل: أصنافًـا وألوانًـا، وقيـل: الذّكـرُ والأُنثـى.

قولـه: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قـال الزَّجّـاج: السّـبتُ أنْ ينقطِعَ عـن الحَرَكـة والـرّوحُ في بدنِـهِ، والمعنـى: ﴿جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ﴾ راحـةً لكـم، وأصـلُ السّـبْتُ التمـدُّدُ والاسـتراحـةُ، يُقـال: سـبتَتْ المـرأةُ شـعرَها إذا مدّتـه وأطالتْـهُ.

قولـه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ قـال الزَّجّـاج: أيْ: تسـكنون فيـه وهـو مشـتمِلٌ عليكـم[2]. وقيـل: ﴿لِبَـاسًا﴾ إذا جـاءَ لِبسَ وغطّـى بظلمتـه كلَّ شيء.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أيْ: لمعاشِكُم ولِمَا فيه صلاحُكُم، خلقَهُ ليتصرَّفُ الخلقُ فيه بالمعـاشِ، والمعاشُ المتصرَّفُ للعيـشِ، وفي خلقِ النّهار تمكينٌ مـن التصرّف للمعاش[3].

قوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني: سـبعَ سماواتٍ، ووصفَها بالشـدّة حيثُ أمسـكَها عن السّـقوطِ ورفعَها بغيرِ عَمَدٍ فهي لا تزولُ عمّا خلقَها الله -سـبحانه- عليه.

---

(١) إعـراب القـرآن لابـن النحـاس: ٥/ ٧٩ وهـي مرويـة عـن ابن عامر فـي بعض الطـرق عنـه: «الحجة ٦/ ٣٦٧ والمحـرر: ٥/ ٤٢٤ و«زاد المسـير» ٨/ ١٦٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ٥/ ٢٧٢.

(٣) أيْ ذا معاشٍ أيْ: جعلناه مضيئًا ليعيشوا فيه ويتصرّفوا. إعراب القرآن لابن النحاس: ٥/ ٨٠.

قولـه: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ أيْ: وقَّـادًا، وهـو المشـتعِل بالنّـورِ، ويريـدُ بـه الشـمسَ، جعلَهـا الله -سـبحانه- مضيئـةً تُضيء بهـا الـسّماواتُ والأرَضُـون.

قولـه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ اختلفـوا في ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ فقـال ابـن عبّـاس وابـن الـزّبير ومجاهـدٌ وعكرمـةُ وعطاءٌ: هـي الرّياح، سـمّيت مـعْصِرات؛ لأنّها تـعصِرُ السّـحابَ فتُمطِرُ، وقـال بعضُهـم: معنـى ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ أيْ: بالمعصِراتِ؛ لأنّـه ينـزِلُ المطـرُ مـن السّـحاب بـعَصْرِ الرّيـاح إيّاهـا، فمعنـى: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ أيْ: بالرّياحِ ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾.

وقال ابن مسعودٍ[1] والضحّاكُ وابن عبّاس[2]: هي السّحابُ.

وقال الزَّجّاج: وسـمي السّـحابُ مـعصراتٍ أيْ: صارتْ إلى أنْ تمطَـرَ، كما يقال: أجـزَّ الـزّرعُ إذا بلـغَ أوانَ جَـزازِهِ[3]. وأركبَ المُهْـرُ إذا حانَ وقتُ رُكُوبِـه، كذلكَ أعصر السـحاب حانَ أنْ يمطِر.

---

(١) يـروى هـذا عن ابن مسـعود فـي خبرٍ عنـه يحتمل ذلك، رواه سـعيد بن منصـور والبزار وابـن النحاس وغيرهـم وقـد أورده ابـن النحـاس عنـد ترجيحـه لتفسير المعصـرات بالسّـحابِ فـروى مـن طريـق النّسـائي بسـنده عـن ابن مسـعود قال: يرسـل اللـه سـبحانه الرّياح فتأخـذ المـاء فتجريه في السـحاب فتـدِرّ كمـا تـدرّ اللّقحـة. هـذا لفظه عنـده ومـن ألفاظـه عندهـم: لفـظ عنـد الطبـري: عـن عبـدِ اللهِ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾. قـال: يَبْعَـثُ اللـهُ الريـحَ فَتُلْقِـحُ السـحابَ، ثـم تَمرِيـه، فتـدِرُّ كما تَـدِرُ اللِّقْحَةُ، ثـم تُمْطِـرُ. إعـراب القـرآن لابـن النحـاس: ٥/ ٨٠ وأخرجـه عـن ابـن مسـعود. سـعيد بـن منصـور: (ح ٢٣٧٩) والبـزار (٣٢١٢) وأبـو عوانـة فـي «المسـند» (٣/ ٥٠٨) (٦٤٨٧)، والطبـري: ١٤/ ٤٣ والطبرانـي (٩٠٨٠) والثعلبـي: ٢٨/ ٣٠٨ والبيهقـي فـي «السـنن الكبـرى» ٣/ ٥٠٨.

(٢) هـذه روايـة علـي بـن أبـي طلحـة عـن ابـن عبـاس: تفسـير الطبـري: ٢٤/ ١٣ وروى عنه الطبـري من طريـق العوفـي أنهـا الريح. وينظـر: الـدر: ٨/ ٣٩٢.

(٣) معانـي القـرآن للزجـاج: ٥/ ٢٧٢. وقولـه: (أركـب المُهـرُ الـخ). هـو فـي تهذيـب اللغـة والصحاح: (ركب).

وعـن الحسـن أنّ ﴿ٱلۡـمُعۡصِرَٰتِ﴾ الـسّماواتِ، وبـه [قـال[١]] مقاتـل ابـن حيّـان وقَتَـادة في روايـةٍ عنـه وابـن جُـبير، فسـمّى الـسّماءَ مـعْصِراتٍ؛ لأنّهـا تعصِرُ السّـحاب حتـى يُمطِرَ.

وقولـه: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ أيْ: صبَّابًـا، وقيـل: هـو الدَّفّـاع في انصبابِـه، وقيـل: هـو المتتابِـع في السـحِّ كالعَـزَالِي[٢] .

قولـه: ﴿لِّنُـخۡرِجَ﴾ أيْ: بالمطَـر ﴿حَبًّا﴾ وهـو جميـع ما يُحصَـدُ وما يكـونُ له حبٌّ كالحِنطـة -وهـو الشّـعيرُ- والـذّرةُ كلّ ما لـه حَبٌّ.

﴿وَنَـبَاتًا﴾ جميـعُ مـا ينبتُ مـن الأرضِ، وقيـل: هو مـا تأكلُـه الماشـيةُ، ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾ أيْ: بسـاتينُ ملتفَّـة الأشـجارِ كثيرَهـا، واحدُهـا لَفِيْـفٌ.

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ۝٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾

(٢٣٩/ب) قوله: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ مضى تفسيرُ الفصْل.

(١) في الأصل: (كان)؟ بدل: (قال). وصوّبتها.

(٢) عـزْلاءُ المزادة: مَصَبّ الماءِ مِنْهَا فِي أَسْـفَلهَا حَيْثُ يُسـتفرَغُ مَا فِيهَا من المَاء، وَجمعهَـا العَزَالِي؛ وَيُقَال للسـحابة إِذا انهمـرت بالمطـر الْجَـوْدِ: قـد حَلَّـتْ عَزَالِيهَا، وَأرْسـلت عَزَالِيَهـا. (تهذيب اللغـة: عزل).

وقولُه: ﴿مِيقَٰتٗا﴾ أيْ: ميعادَ الأولين والآخِرينَ في الحَشْرِ والحِسابِ، وقيل: (كان) صلةٌ في هذا الموضِعِ. قوله: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ مضى تفسيرُهُ، ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾ أيْ: زُمَرًا وجماعاتٍ، واحدُها فوجٌ، وقوله: ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ يعني: به النَّفْخةَ الأخيرةَ. وقوله: ﴿يُنفَخُ﴾ بدلٌ من قولِه: ﴿يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ ويجوزُ أنْ يكونَ مفسِّرًا ليومِ الفَصلِ.

قوله: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ أيْ: فشُقِّقت وانفطَرْت.

قرأ أهلُ الكوفة بالتّخفيف والباقون: (فتِّحت) بالتشديد[١].

قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ أيْ: أُزيلتْ الجبالُ عن أماكنِها فصارتْ كالسّراب. جاءَ في التَّفسِير أنّ ذلكَ حينَ أدركَها الفزعُ الأوّلُ فأزالَها عن أمكنتِها فصارتْ كما قال الله تعالى: ﴿تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾، ثمّ يُدرِكُها الفزعُ الثّاني فصارتْ ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾، ثم يدركُها الفزعُ الثّالث فصارتْ ﴿كَثِيبٗا مَّهِيلًا﴾، ثمّ يُدرِكُها الفزَعُ الرّابعُ فسيّرتْ بسرعةٍ حتى لا يبقَى لها أثرٌ.

قوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا﴾ أيْ: ممَرًّا[٢]، وهو مِفعالٌ من الرّصدِ، المعنى: أنّها ذاتُ ارتقابٍ لأهلِها تراصِدُهم بِنَكَالِها وعُقُوبتِها.

وقوله: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾ أيْ: كانتْ مئابًا أيْ: مرجِعًا للطّاغين، وقد مضى تفسيرُ الطّغْيانِ في غيرِ موضعٍ وأنّه مجاوزةُ الحدّ في الطّغيانِ.

قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ وقُرِئ: (لَبِثِينَ) عن حمزة وحده[٣]، يقال: رجُلٌ

---

(١) المبسوط: ٤٥٨.

(٢) المرصادُ: المكانُ الذي يرصُد الرّاصد فيه العدو. تهذيب اللغة (رصد). والبسيط: ٢٣/ ١٢٦.

(٣) المبسوط: ٤٥٨ والنشر: ٢/ ٣٩٧.

لبثٌ ولابِثٌ بمعنىً، وهو مثل فَرِهِين وفَارِهينَ، والمعنى مقيمَينَ فيها دُهُورًا، وواحدُ الأحقابِ حِقْبٌ. جاء في التَّفسِير عن الزَّجّاج والفرَّاء أنّ الحِقْبَ ثمانونَ سنةً، كلّ سنةٍ ثلاثمائةٍ وستّون يومًا، وكلُّ يومٍ ألفُ سنةٍ ممّا يعدّه بنو آدمَ، وبهذا قال ابن عبّاس وغيره من المفسّرين[١]، وعن مجاهدٍ: الأحقابُ ثلاثةٌ وأربعون حِقبًا، كل حِقْبٍ سبعونَ خريفًا، كلّ خريف سبعمائة سنة، كلّ يوم منها ألفُ سنة مما يعدّه بنو آدم. وقيل: الحِقْبُ أربعون سنةً، كلُّ يومٍ منها ألفُ سنةٍ.

وليس معنى ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ أنّهم بعد مُضيّ الأحقابِ يخرُجُون، ولكنْ معناهُ أنّهم لابِثُون فيها هذه المدّة.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، ثمّ يلْبثُون بعدها فيذُوقُون غيرَ هذا الجِنْسِ من العذابِ، ومعنى قولِه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أيْ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ بـرْدَ ظِلٍّ ولا راحةَ شَرَابٍ.

وقيل: ﴿بَرۡدًا﴾ أيْ: نومًا؛ لأنّ النّائمَ بنومِه قد يستريحُ من أَلَمِ عَطَشِه، وقيل: لا يكونُ لهم فيها راحةٌ ولا ظلٌّ طيّبة، يقال: غنيمةٌ باردةٌ أيْ: طيّبة، ومعناه: الإخبارُ عن عدَمِ راحتِهم بكلِّ وجهٍ[٢].

---

(١) ينظر الرّوايات في هذا عن السّلف عند: عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤٢ والطبري: ٢٤/ ٢٤ وتفسير الثعلبي: ٢٨/ ٣٢٢ وتفسير الإمام الأدفوي تلميذ ابن النحاس: عند هذه الآية. مخطوط. (حققت بعضه ويجري العمل على إكمال تحقيقه وإخراجه قريبًا بإذن الله).

(٢) حمل البرْد على المتبادِرِ منه أولى، فهو: مسّ الهواء البارِدِ. وعزاه ابن عطية للجمهور ورجحه الطبري وقال: (لا يَطْعَمون فيها بردًا يُبرِّدُ حرَّ السَّعيرِ عنهم إلا الغَسَّاقَ). ثمّ أنكر الطبري تفسيرَ من فسّره بالنّوم لأنّ تفسير القرآن ينبغي أن يحمل على الأغلبِ من معروفِ كلام العربِ دونَ غيرِه كما قال. تفسير الطبري: ٢٤/ ٢٧ وتابعه ابن النحّاس أو وَافقه: «إعرابُ القرآن» ٥/ ١٣١ - ١٣٢.

يتبع

وقولـه: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ الحَمِيمُ الماءُ الذي انتهى في الحرِّ، والغَسَّـاقُ الزّمهريرُ المتناهـي في البُرُودةِ، وقيل: هو ما يَسِيلُ منهـم من الصّديدِ.

وقيـل: وادٍ في جهنّـم لها ثلاثمائة وثلاثون شِـعْبًا في كلّ شِـعْبٍ بعددها من البيوتِ فيهـا فُنـونٌ مـن الحيـاة والعُقوبـاتِ[١]. وقيل: اسـتثنى الحَمِيمَ مـن الشّرابِ، والغسـاقَ مـن البرْدِ، وليـس في واحـدٍ منهـما راحةٌ، بل فيـه زيادةُ عقوبة وشـدّة.

قولـه: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أيْ: جُـوزُوا ﴿جَزَآءً﴾ نصبٌ على المصـدَرِ ﴿وِفَاقًا﴾ أيْ: وَفْقَ أعمالِهِـم، وقيـل: وَافَقَ جـزاءَ الكفّار بشرْكِهـم؛ لأنّه لا ذنـبَ أعظمَ مِـنْ الشّركِ، كذلكَ لا عُقوبـة أكبرُ مـن النَّار، يُقـال: هذا وَفْقُـه ووِفَاقُه.

قولـه: ﴿إِنَّـهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أيْ: كانـوا لا يخافُـون حسـابَ الآخِـرة، كذلِـكَ جـاء في التَّفسِير، وقيـل: معنـاهُ: مـا كانـوا يُؤمِنـون فيرجُون ثـوابَ حِسَـابِهِم.

(٢٤٠/أ) قولـه: ﴿وَكَـذَّبُواْ بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ٨﴾ / بالتّشـديد، وهـو مصـدرُ كَـذَّبَ كِذَّابًـا، قال الفـرَّاء: هـي لغة فصيحـةٌ يمانية يقولـون: كَذَّبْت كِذَّابًـا وخَرَّقت القميـص خِرَّاقًا، وكلُّ (فَعَّلْـتَ) فمصـدره عندهـم (فِعَّـال)، وقُـرِئ: (كِذَابًـا) بالتّخفيـفِ، وهو جائـزٌ أيضًا، وبـه قرأ الكسـائي[٢].

قولـه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَهُ كِتَبًا﴾ انتصـبَ الـكلُّ بفعـلٍ مضمَـرٍ الـذي ظهَـرَ

= وقـد فسّـر البـرْدَ هنـا بالنّـوم جماعة مـن أئمّـة العربيّـة المعروفين منهـم: الكسـائيّ وأبو معـاذ النحوي وأبـو عبيـدة والفـرّاء والمبرد. قلـتُ: فهو قولٌ معتبِرٌ فقد توارد عليـه قول هـؤلاء الأعلام لكنّ الراجح مـا تقدّم. تفسـير الثعلبـي: ٢٨/ ٣٢٩ والبسـيط: ٢٣/ ١٣٢ والمحرر: ٥/ ٤٢٧.

(١) تفسير أبي القاسم بن حبيب: ورقة: ٢٣٨ والثّعلبي: ٢٨/ ٣٢٧ عن شَهْر بن حَوشب.

(٢) المبسوط: ص٤٥٨.

تفسيرُهُ، أيْ: أحصينا كلَّ شيءٍ أحصيناهُ كِتابًا، ونُصِبَ قولُه: ﴿كِتَٰبًا﴾ على المصدرِ، المعنى: كتبناه كِتابًا[1]، ويجوزُ أنْ يكونَ منصوبًا على الظّرفِ، أيْ: في كتابٍ وهو اللّوح المحفوظُ، وبه قال مقاتل يعني: في اللّوحِ المحفوظِ، قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ والإحصاءُ العدّ، وقال الحسن: أحصاهُ الملائكةُ في كتابٍ عندَ اللهِ.

قوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ معناه: يُقالُ لهم: ذُوقوا العذابَ ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾، قيل: إنّهم يستغيثُون ويسألونَ الماءَ فيُخرَجُون إلى الزّمهرير ويُسقونَ الغِسلينَ، ويُقالُ لهم عندَ ذلِكَ: ذوقُوا ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾، وقيلَ: لا شيءَ أشدُّ على أهلِ النّار ولا ساعةً هم فيها أشدُّ حُزْنًا من الوقتِ الذي يُقالُ لهم: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾؛ لأنّهم ييأسُونَ مِنَ الخُرُوجِ.

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

قوله: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ المَفازُ مصدرُ الفَوْزِ، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ والمَفازُ موضعُ الفوزِ أيضًا، والفوزُ النّجاة أيْ: لهم نجاةٌ من العِقابِ

(١) أيْ: ويكون العاملُ فيه مضمَرًا وهو: كتبْنا..

ووصولٌ إلى الثّواب الجزيلِ، ثمّ فسّرَ ما لهم من حُسْنِ الثّوابِ فقالَ: ﴿حَدَآئِقَ﴾ وهي جمْعُ حديقةٍ وهي المُحاطُ عليها من النّخيلِ، ﴿وَأَعۡنَٰبٗا﴾ يعني: الكُرُوم، ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ وهي المُفْلِّكاتُ ثديهنّ[١]، ﴿أَتۡرَابٗا﴾ لِدَاتٍ أيْ: مستوياتٍ في السنِّ على مِيْلادٍ واحدٍ سنّهُ ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً، وقيلَ: أرادَ بذلِكَ أزواجَهُنّ من الآدميّاتِ، وقيلَ: هي الحُورُ وليسَ يريدُ بذلك صِغَرَ سنّهنّ، ولكنّ المرادَ بذلك [أنّ[٢]] الشّبابَ جارٍ فيهنّ، أيْ: لم يشِبْنَ ولم يَهْرَمْنَ ولم يتغيَّرْ عن حدِّ الحُسنِ حُسْنُهنّ.

﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا﴾ جاءَ في التَّفسِيرِ: مُتْرَعةٌ مملوءَةٌ، وقيل: متَتَابِعةٌ عن مجاهدٍ، والدّهاقُ في اللّغة: مصدَرُ داهَقَهُ مداهَقَةً ودِهَاقًا، أيْ: تابَعَهُ، يُقال للسّاقي: داهَقَ أيْ: تابعَ بين الأقداحِ، وأدهقتَ الحوضَ إذا ملأتَهُ.

قولُه: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾ أيْ: في الجنّة ﴿لَغۡوٗا﴾ أيْ: باطلًا من الكلام فاسدًا ﴿وَلَا كِذَّٰبٗا﴾ أيْ: لا يكذّب بعضُهم بعضًا.

والكَذَابُ مصدرُ كاذَبَهُ مكاذبةً وكِذَابًا، أيْ: لا يكذِبُ بعضُهم مع بعضٍ، وقُرِئ: (كذّابًا) بالتّشديدِ في معنى التّكذيبِ، أيْ: لا يكذّبُ بعضُهم بعضًا[٣].

قولُه: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾ جزاءً نصبٌ على المصدرِ؛ لأنّ قولَهُ: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ أيْ: جازَاهم بذلِكَ ﴿جَزَآءٗ﴾، وكذلك ﴿عَطَآءً﴾ لأنّ معنى أعطاهُم وجازَاهم واحدٌ.

(١) فلّكت المرأة فهي مفلّكٌ (المخصص: ١/ ٤٧) وكلُّ مُسْتَدِيرٍ فَلْكة، وتَفَلَّكَ ثديُها أي صَارَ كالفَلْكة فهي مفلِّك. لسان العرب: (فلك).

(٢) في الأصل: (إنما)! وصوّبتها: (إنّ).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ٣٥ ومعاني القرآن للزجاج: ٥/ ٢٧٤ وإعراب القرآن لابن النحاس: ٥/ ٨٤.

وقولـه: ﴿حِسَابًا﴾ أيْ: كافِيًـا، أيْ: يكفِيْهِـم ذلِكَ، من قولِهِم: حسْبِي كذَا وكذَا، أيْ: كَفَانِي، وحسبُكَ اللهُ أيْ: كافِيْكَ اللهُ، ومعناهُ: لهم في الجنّة ما يشتَهُونَ وهمْ في أحسنِ عيشٍ وأكملِ تَـوادٍّ، لا يجْـري بينَهـم مـا يجْـري بينَ الشَّرْبِ[1] مـن الشـتْم والتّكذيبِ.

قولـه: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ أيْ: خالقُـهُما ومالِكُهما وخالقُ ما بينهما ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾ أيْ: وَصْفُه أنّه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا﴾ أيْ: لا يكون لهم أنْ يشـفَعُوا لأحـدٍ بـغيرِ إذنِـهِ، ولا يملِكُـون أنْ يسـألُوا إلّا فيما أذِنَ لهـم فيه، قُرِئ: (ربُّ السّـموات والأرضِ الرحمـنُ). بالرّفـعِ على الابتـداءِ، وقُـرِئ: (ربِّ) بالكسر و(الرحمـنِ) بالكسر، ردًّا على قولـه: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ ربِّ الـسماوات الرحمـنِ، وقُـرِئ: (ربِّ السـموات بالـكسر (الرحمـنُ) بالرّفع على الابتـداء، وعلى معنى (هـو الرحمن). (٢٤٠/ب)

قـرأ ابنُ عامـر وأهلُ الكوفة: (ربِّ السـموات) جـرًّا، وقرأ ابنُ عامِـر: (الرّحمنِ) بالجـرِّ أيضًا، وكذلك قراءة عاصـمٍ، وقرأَ الآخـرونَ بالرّفع[2].

قولـه: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ أيْ: اذكـرْ ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ قيلَ: الرّوحُ جبريـلَ، وعن الحسـن وقَتَادة: ﴿ٱلـرُّوحُ﴾ بنو آدمَ، ومعنـاه: ذَوُو الـرُّوح، أيْ: يقومُ ذوو الروح ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾.

وقيـل: ﴿ٱلـرُّوحُ﴾ ملَك عظيـم يقومُ صفًّا ﴿وَٱلـمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾، وقيـل: هم صِنْف على صُـورةِ بنـي آدمَ يأكُلـون ويشربُون ليسُـوا مِن بنـي آدم، عن ابن عبّـاس[3] ومجاهد.

(١) الشَّـرْب - بِالْفَتْـحِ -: الجماعـةُ يشـربُون الخمـر، و(الشَّـرْبُ) جَمْـعُ (شَـارِبٍ) كَصَاحِـبٍ وَصَحْـبٍ. مختـار الصحـاح (شـرب) والقاموس (شـرب).

(٢) المبسوط: ص٤٥٩ وجامع البيان للداني: ٤/ ١٦٨٥.

(٣) يُـروى عـن ابن عبّـاس من طريق عليّ بن أبـي طلحة قال: ملكٌ أعظـمُ الملائكةِ خَلْقًا: تفسير الطبري:

يتبع

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٨﴾ أيْ: سَداداً مِن القول، وقيل: معناه: مَن قال في الدُّنيا: لا إلهَ إلا الله، يأذَنُ الله -سبحانه- لهم أنْ يتكلَّمُوا في القِيامَة بالشّفاعة فيشفَعُونَ وبالاعتذارِ فيُقبَلُ عُذْرُهم، وأمّا الكافرونَ فلا يُقبَلُ عُذْرهم ولا تُسمَعُ شفاعتُهم.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أيْ: الكائنُ الذي سيوجدُ لا محالةَ، الصّدقُ ما سمِعتُم من الأخبار عنهُ، وقيل: لا باطلَ فيه، ولا يجرِي فيه ظُلْمُهم بل ينصَفُ الضَّعيفُ من القويِّ، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أيْ: مرجِعًا حسنًا من طاعةٍ يقدِّمُها وزلّةٍ يجتنِبُها.

قوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أيْ: خوَّفناكم قريبًا أيْ: أنه كائنٌ لا محالةَ، وما هو آتٍ فقريب، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أيْ: ينظر إلى جزاءِ ما قدَّمهُ من أعمالِهِ الصّالحة والسيّئةِ، ويصحُّ أنْ يكونَ (ينظرُ) ينتظِرُ الجزاءَ على ما اكتسبَهُ، وقيل: المرءُ هو المؤمنُ ههنا ينتظِرُ حُسْنَ الثّواب.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، قيل: معناه ﴿يَٰلَيْتَنِى﴾ لمْ أُبعث، وقيل: إنّما يقول ذلك إذا أُعيدت البهائمُ وحُشِر كلّ حيوانٍ ثم يُميتُها ويجعلَها ﴿تُرَٰبًۢا﴾، فعند ذلك يتمنّى الكافرُ أنْ لو جُعِل ﴿تُرَٰبًۢا﴾، وقيل: الكافرُ إبليسَ يتمنّى أنْ يكونَ خُلِقَ من التّرابِ؛ لأنّه ادَّعى الخيريّة بأنْ خلِق من النّار، فإذا رأى فضْلَ آدمَ وما ينالُه من فُنُون الكَرَامة فيقول: يا ليتَني خُلِقتُ من التّراب، ولمْ يُصِبني ما أصابَني.

= ٢٤/ ٤٧ وأبو الشيخ في العظمة (٤١٣)، ويروى عنه: الرّوح: خَلْق من خلق الله، وصُورهم على صُور خلق بني آدم، وما ينزل من السماء ملك إلَّا ومعه واحدٌ من الروح. ذكره ابن النحاس عن هشيم عن مجاهد عنه: ٤/ ٥٣ وذكره الثعلبي عن مجاهد عنه ولم يسنده: ٢٨/ ٣٥٠.

وقـد قيـلَ: إذا صُيِّر الحيوانـاتُ ترابًـا فهو الـغَبَرة التـي تلحَقُ وجـوهَ الكفّار تعلو وجوههم.

وقيل: يقول الكافر يعني: أبا جهْلٍ، والمرءُ: عُقبة بن أبي مُعَيط.

والسّورة مكيّةٌ[١].

(١) البيان للداني: ص٢٦٢. وهي مكيّة كلّها بإجماعهم. المحرر: ٥/ ٤٣٢ وزاد المسير: ٤/ ٣٨٧.

سورةُ النّازِعات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ
سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ
٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ
تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾

قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ قال بعضُ أهل النّظر: القسَمُ بربِّ هذه الأشياءِ، كأنّه قيل: وربِّ النّازِعات، وقيل: أقسمَ الله بهذه الأشياءِ للتّنبيه على موقع العِبْرة فيه، إذْ القسَمُ يدلّ على عِظَم شأنِ المُقسَم به، ويجوزُ أنْ ينْهى عبادَه عن القسَم بالمخلوقاتِ لِمَا له أنْ يتعبَّد عبادَه بما شاءَ.

ومعنى ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ قيل: هي الملائكةُ تنزِعُ أرواحَ الكفّارِ مِنْ أبدانِهم. وقوله: ﴿غَرۡقٗا﴾ أيْ: إغراقًا، أيْ: إبْعادًا في النّزْعِ كما يُغرِقُ النّازِعُ في القوسِ، وقيل: ﴿ٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ النّجُوم تَنزَعُ من مكانٍ إلى مكانٍ، ومِن أفُقٍ إلى أُفقٍ، عن الحسن وقَتادة، والأوّل عن ابن عبّاس وابن مسعودٍ.

وقال عطاء: هي القِسِيّ تُنْزَعُ بالسّهم. وقال السُّدِّي: هي النَّفْس تُنزَع نزْعًا،

أيْ: تنزع بالخُروج من البدن، وذلك حين تغرَقُ في الصّدْرِ.

وقوله: ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا﴾ قيل: هي نفسُ المؤمِنِ تخرُجُ بالنّشَاطِ ﴿نَشْطًا﴾ وقيل: هي الملائكة تنشِطُ روحَ الكافر وتنزِعُها فيشتدّ عليه خروجُ رُوحه، عن الزَّجّاج، وقال الفرَّاء: يقال: إنها تقبضُ نفسَ[1] المؤمنِ كما يُنْشطُ العِقالُ من يدِ البعيرِ، قال الفرَّاء/ : والذي سمعتُ من العرب أنْ يقولوا: أَنشطتُ وكأنما أُنشِطَ من عقالٍ، وربطَها نشطَها، فإذا ربطتَ الحبلَ في يد البعير فأنت ناشطٌ، وإذا حللتَه فقد أنشطتَه، وأنت مُنشط. فعلى ما قاله الفرَّاء: ﴿ٱلنَّـٰشِطَـٰتِ﴾ هي التي تشدُّ أرواحَ الكفّارِ وتنزِعها شدًّا ويشتدُّ عليهم ذلك. (٢٤١/أ)

وقال عطاء: هي الوحْش يَنشُط من بلدٍ إلى بلدٍ.

وقيل: ﴿ٱلنَّـٰزِعَـٰتِ﴾ القِسيُّ ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ﴾ الأَوْهاقُ، عن عكرمة[2].

وقيل: ﴿ٱلنَّـٰشِطَـٰتِ﴾ النجوم يَنشُطن من مشارِقِها إلى مغارِبها ويرجِعْنَ من مغارِبها إلى مشارِقِها، يقال: حمارٌ ناشطٌ إذا ذهبَ من بلدٍ إلى بلدٍ.

وقال بعضهم: ﴿ٱلنَّـٰشِطَـٰتِ﴾ كلابُ النَّار تَنشَطُ أكفُّها وأظفارُها في أرواحِ الكفّارِ[3].

---

(١) في الأصل: (يقبض من نفس).؟ كذا؟ والتّصويب من كتاب الفرّاء: ٣/ ٢٣٠.

(٢) الْأَوْهَاقُ جَمْع وَهَق- بالتَّحريك- وَقَدْ يُسَكَّن، وَهُوَ حَبْلٌ تُشَدُّ بِهِ الإبِلُ والخَيْل، لِئلا تَنِدَّ. النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٣٣). تَنِدَّ. يعني تهربَ.

(٣) قولٌ غريبٌ لا دليلَ عليه. عزاه أبو حفص النّسفي إلى سعيد بن المسيب: التيسير في التفسير: ١٥/ ١٩٩ وقد رُوي في هذا حديث مرفوعٌ طويلٌ جدًا ولكنه موضوع: أخرجه ابْن مرْدَوَيْه: الدر المنثور: ٨/ ٤٠٥ ثم ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٥٤ - ١٥٦، ١٥٧ - ١٦١ وينظر: اللآلي المصنوعة: ٢/ ٢٣٨.

قولـه: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ قيلَ: هي الملائكةِ؛ لأنّها تسبَحُ في نُزُولِها بأمر الله كما يقال للفَرَس: تسبَحُ في جَرْيِها إذا أسرعتْ، عن مجاهدٍ.

وقال قَتادة: هي النُّجومُ تسبَحُ في فَلَكِها، قال اللهُ سبحانه: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾، وقيل: هي السُّفُنُ، عن عطاءٍ.

وقيل: هي أرواحُ المؤمنينَ تخرُجُ بسهولةٍ وتسبَحُ سبْحًا شوقًا إلى لقاءِ الله سبحانه.

قوله: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ هي الملائكة يَسبقون إلى الخيرِ والبَرَكةِ، وقيل: هي الخيلُ السّابقة، عن عطاءٍ، وقيل: الملائكةُ؛ لأنّها سبقتْ إلى طاعةِ الله، عن مجاهدٍ، وقيل: الملائكةُ؛ لأنّهم يسبِقُونَ بأرواحِ الكُفّارِ إلى النّار، وقيل: لأنّها تسبِقُ الشياطينَ بالوحيِ إلى الأنبياءِ إذا استرقَت السّمْعَ.

وقيل: نفسُ المؤمنِ تسبِقُ إلى الله سُرُورًا لِما [كوشف بها] من رؤية الجنّة(١).

وقال قَتادة: هي النُّجُوم يسبِقُ بعضُها بعضًا في الأُفُول والطُّلوعِ.

قوله: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾، قيل: هي الملائكةُ تنزِل بالحَلَالِ والحرامِ فذلك تدبيرُها، وهو إلى الله سبحانه، ولكنْ لّما نزلتْ الملائكةُ به سمّيت بذلِكَ، كما قال: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ يعني: جبريلَ، والذي نزّله على الحقيقةُ اللهُ سبحانَه، وقيل:

(١) كذا في الأصل! وفي العبارة تحريفٌ، ولكن المعنى العامّ واضح. وقد ذكر الثعلبي في تفسيره: ٢٨/ ٣٧٣ ثمّ الواحدي في البسيط: ٢٣/ ١٦٦ عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثله قال: هي أنفسُ المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها، وقد عاينت السّرور شوقًا إلى لقاء الله تعالى ورحمته وكرامته. ولم يسنداه. وزاد الواحدي نسبته إلى ابن عبّاس من رواية عطاء. وذكر السجاوندي في عين المعاني في التفسير: عن الربيع: الأرواح تسبق الملائكة شوقًا إلى الله تعالى. مخطوط- ورقة: ٤٠١. والكتاب محقق رسائل علمية ولكن ليست بحوزتي.

المدبّراتِ جبريلُ بالوحيِ والتّنزيلِ، وميكائيلُ بالقَطْرِ والنّباتِ، وإسرافيلُ للصُّور، وملكُ الموت لقبضِ الأرواحِ.

وجواب القسَم محذوفٌ، وتقديره: لتُبعثنَّ، ويدلّ عليه قوله بعده: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ أيْ: أنُبْعثُ بعدما كنّا ﴿عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾؟! على جهة الإنكارِ والاستبعاد، ولكن لَمَّا كان في الكلامِ ما لا يَخْفى معناهُ على السامِعين حسُنَ حذْفُه، وقال بعضُهم: جوابُ القسَمِ قولُه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ والذي عليه أهل المعاني ما ذكرناه[١].

قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ أيْ: تتحرّكُ حركة شديدةً، وجاء في التَّفسِير أنّها النفخةُ الأولى التي تموتُ لديها الخلائقُ، ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ وهي النّفخة الثانية التي يُبعثُ عندها الخلقُ.

ونَصْبُ قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ على معنى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ أيْ: احذرُوا ذلك اليوم.

قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ أيْ: خائفة جداً ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ أيْ: ذليلةٌ، قوله: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ حكى عنهم قولَهم في الدُّنيا على جهة الاستبعادِ لأمْرِ البَعْثِ، ومعناهُ: ﴿أَءِنَّا﴾ نُرَدُّ في الحياة بعدَ الموتِ، تقولُ العربُ: أتيتُ فلاناً ثمّ رجعتُ إلى حافِري أيْ: رجعتُ إلى حيث جئتُ، ومنه قولُهم: النّقدُ عند الحافِرةِ[٢]. معناهُ: إذا قلتَ: بعتكَ رجعتَ عليه بالثّمنِ.

(١) قال ابن النحّاس: (جواب القسم ففيه أربعة أقوال أصحّها وأحسنها أنّه محذوفٌ دُلّ عليه دلالة واضحة، والمعنى: والنازعات لتبعثنّ..) اهـ. الخ: إعراب القرآن: ٥/ ٨٩. وينظر: إيضاحُ الوقفِ: ٢/ ٩٦٥ والقطع لابن النحاس: ص٧٦١.

(٢) في معنى هذا المثلِ اختلافٌ، ينظر تفصيله في: الزاهر: ١/ ٣٦٠.

وبعضهم يقول: النّقدُ عندَ الحافِرِ أيْ: عندَ حافِرِ الفرَسِ، كأنّ هذا المَثل إنّما جرى في الخيلِ. وقال بعضهم: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ الأرضُ التي تحفَرُ فيها قُبُورهم كما قالوا: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ أيْ: مدفُوق، فعلى هذا معناه ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ أحياء إلى الأرض التي دُفنَّا فيها، أيْ: أنَحْيي بعْدَ الموتِ(١).

(٢٤١/ب) وقيل: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ / وجهُ الأرضِ، ومعناهُ أإنّا لنُرَدُّ إلى وجهِ الأرضِ؟ استبعادًا لها وسمّى وجهُ الأرضِ حافرةً؛ لأنّها مستقَرُّ الحوافِرِ، وقيل: معناه: نمشي على أقدامِنا إلى الحياة بعد الموتِ.

قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ قُرِئ: ﴿نَّخِرَةً﴾ و(ناخرة) جميعًا، فقرأ أهل الكوفة غيرَ حفصٍ: (ناخرة)، وقرأ الآخرون: (نخِرة)(٢).

فمِن النّاس مَن قالَ: لا فَصْلَ بينَ نَخِرةٍ وناخِرة، مثل: طمِعٍ وطامِعٍ، وبخِلٍ وباخِلٍ، وهي الباليةُ، يُقال: نَخِرَت العظامُ تَنخَرُ فهي ناخِرةٌ ونخِرةٌ، أيْ: بِليَت.

وقيل: النّخِرةُ هي الباليةُ، والناخِرةُ العظْمُ المجوّفُ التي يمرُّ فيه الرَّيح فتنخَرُ، أيْ: تصوِّت، نخَرَ بفتحِ الخاءِ نخِيْرًا إذا صوَّت، ونَخِرَ بكسرِها إذا بِليَ(٣).

قوله: ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أيْ: رَجْعَةٌ ذاتُ خُسْرانٍ، أيْ: أهلُها خاسِرُونَ، أيْ: إنْ رُدِدْنا إلى أوّل أمرِنا بعد ما كنّا ﴿عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ فهيَ ﴿كَرَّةٌ﴾ يخسَرُ فيها أهلُها، يقال: تجارةٌ رابِحة أيْ: ذاتُ رِبْحٍ، ثمّ أخبرَ عن سُهُولة البَعْثِ عليه فقال: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أيْ: صيْحةٌ وسَوْقة واحدةٌ، يعني: ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾.

(١) فتكون الحافرة على هذا القول بمعنى: المحفورة: تفسير الطبري: ٢٤/ ٧١.
(٢) المبسوط: ص٤٦٠ والنشر: ٢/ ٣٩٧.
(٣) يقال: (نخِر الشئ بالكسرِ، أيْ: بلِي وتفتّت). الصحاح: (نخر).